العنوان:	فهارس الشيوخ : دراسة في الببليوجرافيا الحيوية لعلماء المسلمين
المصدر:	مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية - قطر
المؤلف الرئيسي:	خليفة، شعبان عبدالعزيز
المجلد/العدد:	مج 4, ع 4
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1992
الصفحات:	89 - 135
رقم MD:	123630
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	السماع، العلماء المسلمون، الببليوجرافيا الحيوية، مصطلحات المشرق العربي، مصطلحات المغرب العربي، القراءة، المناولة ، الاجازة، المعاجم العربية، الفهارس
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/123630

فهـــارس الشيـــوخ

دراسة في الببليوجرافيا الحيوية لعلماء المسلمين

أ . د . شعبان عبدالعزيز خليفة

أستاذ المكتبات والمعلومات

١ ـ في المفاهيم والتعريفات

يقصد بفهارس الشيوخ تلك القوائم التى كان بها العالم المسلم يحصر ويسجل ويصف الكتب التى درسها على أساتذته (شيوخه) ، سواء كانت تلك الدراسة بالقراءة أو السماع أو الاجازة . . . وسواء كانت تلك الدراسة مباشرة أى بالحضور بين يدي الأستاذ أو غير مباشرة أى عن طريق التعلم الذاتي ، وسواء كان الشيخ الأستاذ معاصرا لذلك العالم أو سابقا عليه ولو بفترة طويلة .

ولقد كانت فهارس الشيوخ في الواقع جزءا من منهج البحث العلمي الذى درج عليه العلماء المسلمون حيث كان العالم ينسب الفضل لأهله ويسند تكوينه العلمي إلى كل من ساهم في هذا التكوين . وكان ذلك قمة الأمانة العلمية فلم يكن العالم المسلم يكتفي بأسناد المعلومات إلى مصادرها فيما يكتب وحسب بل كان ينسب كل خلية فكرية في عقله إلى من ملأ تلك الخلية بالمعلومات والمصدر الذى اعتمد عليه في ذلك .

تلك الفهارس التى تعطى معلومات عن الكتب وعن الأساتذة في نفس الوقت تعرف في أيامنا بالببليوجرافيات الحيوية ، أى التى تصف الكتب وتترجم للأشخاص في وقت واحد . هذه الفهارس عرفت عند المسلمين بعدد آخر من المصطلحات مثل : الأثبات (جمع ثبت) ، البرامج (جمع برنامج) ، المشيخات (جمع مشيخة) ، المعاجم (جمع معجم) ، المسلسلات (جمع مسلسل) ، التقييدات (جمع تقييد) ، الاسنادات (جمع سند) .

والفهـرست بجميـع اشتقـاقاتها كلمة فارسية عربت ، وهى بهجائها السابق نقلت من الفارسية إلى العربية دون تغيير . أما « الفهرس » فقد نقلت إلى العربية من الفارسية مع التغيير إلى المذكر و « الفهرسة » نقلت إلى العربية من الفارسية مع التغيير إلى المؤنث . وكل هذه الصيغ مستخدمة في العربية (١) .

وقد عرف القدماء « الفهرس » في مصادرهم بأنه الكتاب الذى يجمع فيه العالم شيوخه (أساتذته) وأسانيده (الكتب التى درسها عليهم) وما يتعلق بذلك . أما من حيث النطق فانها تنطق بطرق مختلفة : أكثرها شيوعا فتح الفاء والراء وتسكين الهاء ، كما تنطق بكسر الفاء والراء ، والتاء قد تكون مفتوحة أو مربوطة ومن المصادر ما أجاز أن تكون هذه التاء الآخيرة هاء . وقد اشتق منها الفعل « فهرس » « يفهرس » والمصدر (فهرسة) ، وذلك على قياس دحرج (٢) . .

ولقد استخدمت الصيغ الثلاثة : فهرسة ، فهرست ، فهرس في عناوين البيليوجرافيات الحيوية الاسلامية التى وصلتنا ، وان كان هناك نوع من التوازن في استخدام صيغتى الفهرست والفهرسة وهما الغالبتان فان أقل الصيغ استخداما صيغة الفهرس (٣) . .

أما الثبت فهو مصطلح عربي أصيل وهو بفتح الثاء والباء الكتاب الذى يثبت فيه العالم المسلم الكتب التى درسها على أساتذته وترجمة لهم ونحو ذلك . أما الكلمة بتسكين الباء فتتخذ معنى آخر هو الشجاع الثابت القلب واللسان والحجة أو الثقة العدل . ومن هنا فانها بالفتح ترادف الفهرس وأول من تكلم عنه بهذا المعنى البيليوجرافي هو السخاوى في شرحه على الآلفية عند كلامه على الفاظ التعديل ففرق بين حالى المصطلح في الفتح والتسكين فقال مانصه « والثبت بسكون الموحدة (الباء) الثابت القلب واللسان والكتاب والحجة وأما بالفتح فيما يثبت فيه المحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه » (٤) .

وقال الشمس محمد بن الطيب في حواشيه على القاموس المحيط « استعملوا الثبت بالفتح والتحريك في الفهرسة التى يجمع فيها المحدث مروياته وأشياخه كأنه أخذ من الحجة لأن أسانيده وشيوخه حجة له » (٥) .

والبرنامج هو الآخر مصطلح فارس عرب من (برنامه) وينطق بفتح الباء وتسكين الراء وفتح الميم ، وفي بعض المصادر بفتح الباء وكسر الميم وفي مصادر ثالثة بكسر الأثنين . والبرنامج في الأصل : الورقة الجامعة للحساب أو زمام يرسم فيه متاع التجار وسلفهم . واستخدم المصطلح بعد ذلك مرادفا للفهرس واستعمله أبن خلدون في المقدمة للدلالة على ذلك . وقد استعمله كثير من أهل الأندلس في عناوين بيليوجرافياتهم الحيوية (٦) .

والمشيخة هو المصطلح الذى ظهر أولا في القرن الثاني الهجرى ليطلق على الكتاب أو الجزء من الكتاب الذى يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم . وتنطق بفتح الميم وكسرها وسكون الشين وفتح الياء وضمها . كذلك قد تنطق بفتح الميم وكسر الشين وتسكين الباء . ومن

الواضح أن الكلمة عربية اشتقت من « شيخ » وهو لغة من استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب ، ولكنها تطلق مجازا على المعلم والأستاذ لكبره وعظمته وتجمع الكلمة على شيوخ وأشياخ . وتطورت كلمة مشيخة لتطلق على الكراريس التى يسجل فيها العالم شيوخه ومادرس عليهم من مؤلفات . وقد ورد في حواشي الشيخ عطية الأجهورى على شرح البيقونية أن المشيخة كذلك تطلق على الكتاب الذى يسجل فيه العالم شيوخ شيخه ، وتجمع المشيخة على مشيخات (٧) .

والمعجم ظهر بعد المشيخة ويجمع على معاجم ومعاجيم ، وهو مرادف للمشيخة والفهرس والثبت والبرنامج الا أنه يلتصق به أنه يرتب أسماء الشيوخ ترتيبا هجائيا بحتا كما ترتب كلمات اللغة ومفرداتها في معاجم اللغة بخلاف المشيخات والفهارس التى قد تعتمد ترتيبا آخر للشيوخ والكتب كما سنرى ذلك فيما بعد . وقد عرف المعجم بأنه « عبارة عن الكتاب الذى يترجم فيه الشيخ شيوخه مرتبين على حروف المعجم ويذكر ما رواه عن كل واحد منهم في ترجمته من حرفه . وتوسع المتأخرون فسموا المعجم الكتاب الذى يخصه الشيخ بشيوخه وأقرانه أو من أخذ عنه أو يفرده أحد المحدثين بشيوخ حافظ أو تلاميذه » (٨) .

والمسلسل ظهر بعد المشيخة والمعجم وهو مرادف لهما ويقصد به بيان بالكتب التى درسها العالم ويعتمد المسلسل على ذكر سلسلة الشيوخ الذين رووا الكتاب المدروس حتى تصل به إلى مؤلفه الأول . وهناك عدد ضخم من فهارس الشيوخ يبدأ عنوانه بهذا المصطلح ، ويجمع على مسلسلات . وترتبط المسلسلات أكثر ما ترتبط بروايات الحديث النبوى وفي هذا المعنى يقول عبد الغنى الدهلوى في فهرسة المعنون « اليانع الجنى » :

أيا طالبا علم الحديث مسلسلا   وبالسند العالي المعنعن قد عنى
عليك إذا مارمت تظفر بالمنى   وتجنى ثمار العلم باليانع الجنى

ويرتبط بهذا المصطلح مصطلح آخر من جنسه هو السلسلة والسلاسل وان كان نادر الاستخدام (٩) .

أما الاسناد فيجمع على اسانيد ومسانيد ، ويقصد به كذلك نسبة المرويات أيا كانت طريقتها إلى سلسلة من الرواة حتى نصل بها إلى مؤلفها الأول ، وقد أرتبط الاسناد بروايات الأحاديث ، ثم أصبح يستخدم بعد ذلك للكتب في المجالات الأخرى كالتاريخ والأنساب والأدب وغيرها . وقد استخدم هذا المصطلح على نطاق واسع في القرون الأولى للجهرة (١٠) .

والتقييد هو الآخر من المصطلحات التى استخدمت للدلالة على الببليوجرافيات الحيوية التى يعدها العلماء ويقيدون فيها ما يدرسونه من الكتب على شيوخهم . ويجمع التقييد على تقييدات . واستخدام هذا المصطلح قليل نسبيا في عناوين تلك الببليوجرافيات (١١) .

لقد بدأت تلك المصطلحات الثمانية بفروق ـ وان تكن طفيفة ـ فيما بينها ولكن مع مرور الوقت ذابت تلك الفروق وأصبحت جميعا تستخدم على الترادف والتبادل في عناوين الببليوجرافيات الحيوية الاسلامية . ومن الطريف أن أحد المؤلفين جمع ستا من تلك المصطلحات في عنوان كتاب واحد له هو « فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات »(١٢) .

ولقد أنتشر في المشرق العربي استخدام مصطلحات . ثبت ، معجم ، مشيخة ، اسناد ، تقييد . بينما أنتشر في المغرب العربي والأندلس مصطلحات فهرسة ومشتقاتها ، برنامج ، مسلسل . ومن الغريب أن ينتشر مصطلح فهرسة عند المغاربة والأندلسيين أكثر من انتشارها عند المشارقة لأن المصطلح فارسي الأصل وبدأ نحته في المشرق العربي .

لقد قام الباحث بدراسة ألف ومائتى ببليوجرافية حيوية اسلامية لرصد تردد تلك المصطلحات في عناوينها وكانت النتيجة على النحو الآتي : ـ

المصطلح	عدد مرات التردد في بداية العنوان	عدد مرات التردد في مواضع أخرى
فهرس (ومشتقاتها)	٣١٢	٢٨
مشيخة	٢٠٥	١٤
معجم	١١٤	١٦
مسلسل (ومشتقاتها)	١٠٧	٥٤
ثبت	٧٨	٦
برنامج	٣٣	٧
اسناد (ومشتقاتها)	٢٤	٦٨
تقييد	٢٨	٩
عناوين أخرى	٢٨٣	—
المجموع الكلي	١١٨٤	—

أما من حيث تأليف هذه الفهارس فتكشف الدراسة عن وجود طريقتين له الأولى : هي أن يكتبه صاحب الفهرس بنفسه كضرب من ضروب الترجمة أو التاريخ لحياته العلمية أو السيرة الـذاتيـة كما نقول في أيامنا الحالية . وكان المصطلح الذي يصف هذه الطريقة هو « التخريج الذاتي » للفهرس . وفي هذه الطريقة نجد العالم يتحدث عن اساتذته بعاطفة شديدة ووفاء وتوقير ويخلع عليهم من الصفات والنعوت الطيبة الشيء الكثير إلى حد يصل لدرجة من المبالغة . وهذه الطريقة في تأليف الفهارس هي الغالبة وتصل في الفهارس المدروسة إلى ٨٠,٧٪ . ويمثل هذا الاتجاه فهرسة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن السمرقندي (المتوفي سنة ٥١٦ هـ) ، ومشيخة طه زاده الحلبي (المتوفي ١١٣٧ هـ) ، وبرنامج محمد بن جابر الوادي آشي (المتوفي ٧٤٦ هـ) . وغيرها. والثانية : هي أن يقوم شخص آخر باعداد الفهرس نيابة عن العالم وغالبا ما يكون تلميذه أو أباه أو ابنه أو أخاه أو صديقه ، وعادة مايكون من المعاصرين له أو حتى المعايشيين له . وتوصف هذه الطريقة بالتخريج الغير ذاتي أو الغير مباشر ، وربما يعرض الفهرس على صاحبه ان كان المعد له قريبا منه في الزمان والمكان . ومن هذه الفهارس فهرس ابن عبد البر الذي خرجه له تلميذه ابن بشكوال ، وفهرس أبي على الصدفي الذي أعده له تليمذه عياض ، وفهرس ابن أبي الربيع الذي خرجه له تلميذه ابن الشاط ، وفهرس أبي المظفر عبد الرحيم السمعاني الذي خرجه له أبوه أبو سعد السمعاني ، وبرنامج أبي بكر محمد بن مسعود الخشني المعروف بابن أبي ركب والذي جمعه له وخرجه ابنه أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني حيث قال في مقدمة عمله « وعندي الأصل الذي قيده أبي رحمه الله » ، ومشيخة محمد بن عبد الله الرشيدي التي عملها له السخاوي . وتصل نسبة الفهارس التي أعدت بهذة الطريقة في الفهارس موضوع دراسة هذا البحث إلى ١٩,٣٪ (١٣).

ومن الطريف أبن بعض علماء المسلمين كان يعد لنفسه فهرسين أحدهما مطول والآخر مختصر ، بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فأعد ثلاثة فهارس : كبير ومتوسط وصغير ، وربما كان ذلك من قبيل التيسير على من يريد رواية هذه الفهارس أو دراستها فمن شاء دراسة الكبير كان له ذلك ومن شق عليه أمكنه دراسة المتوسط أو الصغير كل حسب امكانياته ورغبته . كما فعل أبو سعد السمعاني (المتوفي سنة ٥٦٢ هـ) الذي خرّج لنفسه المعجم الكبير وفيه ذكر نحو ألفين وأربعمائة من شيوخه واختصره إلى النصف تقريبا في فهرس آخر هو « التحبير في المعجم الكبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الذي له المعجم الكبير والصغير والمنتقى ، وغيرهما كثيرون »(١٤).

لقد خرجت فكرة اعداد فهارس بالكتب المدروسة من بطن علم الحديث فرواة الحديث في عصر التواتر والمشافهة كان عليهم أن يسندوا مايروون من أحاديث إلى سلسلة من الرواة حتى يصلوا بها إلى من سمعها من الرسول الكريم ﷺ مما يعطي هذه الروايات ثقة وثقلا . ولما جاء عصر التدوين ابتداء من القرن الثاني الهجري لم تتخل الروايات عن الاسناد بل انه كلما بعد العهد كلما زاد الاسناد ، وانصرفت العناية في عصر التدوين إلى تصحيح الأمهات المكتوبة وضبطها بالرواية عن مصنفيها كما يقول ابن خلدون .

ثم انتقلت المسألة فيما يذكر د. عبد العزيز الأهواني من اسناد مجموعات الأحاديث إلى تسجيل كل المرويات في جميع فروع المعرفة الانسانية التي تداولها المسلمون وبدأت بعلوم الدين الأخرى ثم اللغة والأدب والتاريخ والأنساب وكذلك العلوم التي أخذها العرب عن الأمم الأخرى مثل الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك والكيمياء والميكانيكا وغيرها .
واعتبرت عملية الاسناد هذه جزءا أساسيا من الأمانة العلمية ومنهج البحث العلمي عند علماء المسلمين . وحرص كل العلماء تقريبا على أن يكون لكل منهم فهرس أو ثبت يسجل فيه الكتب التي درسها على أساتذته ، كما حرصوا كذلك على تسجيل سلسلة الأساتذة حتى يصلوا بها إلى المؤلف الأصلي للكتاب ، وكلما قصرت السلسلة وضاقت الشقة بين الطالب والمؤلف الأصلي كانت الكتب التي درسها من كتب العوالى ، أي الأصلية القريبة من المنبع الأصيل لها(١٥).

ولعله من نافلة القول التأكيد على أن المشارقة كانوا يطلقون على العالم المعلم كلمة « الشيخ » وعلى من يتلقى العلم منه كلمة « الطالب » بينما الأندلسيون والمغاربة كانوا يطلقون على الأول « الأستاذ » وعلى الثاني « التلميذ » على نحو ما نفعل الآن في جامعاتنا . ومن هنا جاء اصطلاح فهارس الشيوخ أي الأساتذة العلماء المعلمون .

٢ ـ غايات وأهداف وأهميات فهارس الشيوخ

ولكن لماذا كانت هذه الفهارس ولماذا حرص طلاب العلم على تأليفها بعد أن شبوا عن الطوق وأصبحوا هم بدورهم علماء وأساتذة ؟
يمكننا مطمئنين أن نتلمس الهدف الرئيسي من فهارس الشيوخ في الحديث الشريف : « هلك أمتي في العصبية والقدرية والرواية من غير ثبت » فالهدف من الفهرس هو الضبط البيبليوجرافي لمصادر معلومات العلم الذي تلقاه العالم بداية امتثالا للحديث الشريف ولم ينسحب

هذا الحديث على رواية الحديث فقط وانما انسحب على سائر العلوم الدينية والعلمانية منها .

لقد خرجت من بطن هذا الحديث تقاليد راسخة للعلماء المسلمين في مجالسهم تمثلت في عنايتهم الفائقة بالتسجيل والتدوين لمن يتلقى العلم فالمستملي أو المعيد (مساعد الشيخ الأستاذ) يسجل أسماء الحاضرين وموضوع الدرس أو الجزء الذي سمع من كتاب معين لدرجة أنه اذا كان بعض الحاضرين طفلا في نحو الثالثة أو الخامسة من عمره يقع النص على ذلك وعلى صحبة من حضر من والد أو أخ لأنهم كانوا يحضرون مجالس العلم الصبية الصغار دون سن الأخذ والتلقي ترغيبا لهم في طلب العلم والحرص على لقاء العلماء اذا كبروا . واذا تخلف بعض الطلاب عن مجالس معينة فانه يقع النص عليها وعلى مواضع الكتاب التي فاته سماعها وعند تسليم شهادات السماع العامة أو الخاصة أو اثبات هذا السماع في الكتاب المدروس يقع ذكر هذه المواضع التي تخلف عنها المستمع . واذا كان الكتاب لم يسمع كله وانما سمع من أوائله شيء في حالة الاجازة الخاصة فانه المجيز يذكر ذلك في اجازته ثم يذكر الاجازة في رواية الكتاب كله بالسند المتصل من شيوخ المجيز إلى المؤلف الأصلي .

وشهادات الاستماع أو الاجازة تكون مؤرخة ويحتفظ بها المستمع أو المستجيز ليستطيع أن يسلم للراغب نظيرتها في رواية كتاب معين عندما يصبح مقصودا بالأخذ والتلقي . وشهادات الاستماع (السماع) أو الاجازات ، قد تبقى على حالها وقد ينظمها صاحبها تنظيما حسب تواريخها أو البلدان التي رحل إليها أو حسب اسماء الشيوخ الذين روى عنهم وهذا التنظيم يأخذ شكل تأليف يسمى فهرسة أو برنامجا أو معجما أو مشيخة أو مسلسلا أو سندا أو تقييدا على نحو ماشرحناه تفصيلا في النقطة السابقة .

لقد أفاض بعض مؤلفي هذه الفهارس في مقدمات فهارسهم في شرح الدوافع التي دفعتهم إلى تأليفها والهدف منها ، بينما صمت البعض الآخر عن ذكر دوافعهم وكأنها مفهومة معروفة .

يقول أبو عبد الله بن غازي (المتوفي سنة ٩١٩ هـ) في مقدمة فهرسة المعنون « التعلل برسوم الاسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد » أنه ألف هذا الفهرس خدمة للعلم وانتسابا إلى أهله وانضماما إلى سلاسل رواته واجابة لاستدعاء الاجازة الذي طلبه منه أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي الوارد عليه من تلمسان ، ومن المعروف أن ابن غازي كان شيخ الجماعة في فاس(١٦).

أمـا ابن الجـوزي فيقول في أسباب تأليفه لمشيخته مانصه « حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر واسمعني العوالي وأثبت سماعاتي كلها بخطه ، وأخذ لي اجازات منهم ، فلما فهمت الطلب كنت الازم من الشيوخ أعلمهم واوثر من أرباب النقل أفهمهم فكانت همتي تجويد العدد لا تكثير العدد . . ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ذكرت عن كل واحد منهم حديثا »(١٧).

والقاضي عياض كان مباشرا في تسجيل بعض أسباب فهرسته حين نص « . . . وبعد أيها الراغبون في تعيين رواياتي واجازة مسموعاتي ومجموعاتي فقد تعين بحكم الحاحكم على ومدكم أيدي الرغبات إلى ، أن أنص لكم من ذلك على عيون وأخص أوراقي هذه لما لعله يفي بالمضمون وأحيل على فهارس الأشياخ على العموم في سائر أنواع العلوم وأسمى أشياخي الذين أخذت عنهم قراءة وسماعا ومناولة واجازة وممن كتب إلى ممن لم ألقه ، وذكرت من خبر كل واحد منهم مايعطي الحال وفقه بطرف من الاختصار والايجاز محكم مأأدت إليه الحال من الرحلة والانحفاز ، وذكرت اثناء ذلك أسماء جلة ممن لقيتهم وجالستهم وذاكرتهم ولم أرو عنهم أو سمعت منهم اليسير اما لقاطع قطع أو لسبب منع أو لأنهم لم يكونوا أصحاب رواية أو اتقان لما رووا أو دراية »(١٨).

والنعال البغدادي يؤكد في مشيخته أنه « كان من جملة نعم الله تعالى على وعميم احسانه إلى أن قيض لي في حال النشأة والصغر من فعل في حقي عناية ظهرت بركاتها أو ان الشيخوخة والكبر فحملني إلى مجالس الحديث وأثبت اسمى في أهل الرواية والتحديث وأخذ لي خطوط جماعة كبيرة وثلة خطيرة من متعيني الرواة وممن تقدم دروجه بالوفاة ، والمتولى لذلك هو جدي الشيخ الأجل الصالح أبو القاسم هبة الله بن رمضان بن أبي العلاء المقرىء ـ تغمده الله تعالى برضوانه وأسكنه غرف جنانه ـ فاستخرت الله تعالى ، وخرّجت في هذا الكتاب جملة من مشايخي المجيرين متكلما على حال كل واحد منهم على جهة الاختصار ، متجنبا في ذلك التطويل والاكثار مرتبا لهم على قدم وفياتهم ـ أعاد الله تعالى علينا من بركاتهم ـ وخرجت في ترجمة كل شخص منهم حديثا واحدا ليكون ذلك لي ان شاء الله تعالي يوم القيامة شاهدا فيها عليه بحسب ما يقتضيه الحال ، منكبا عما يفضي إلى السآمة والاملال ، وبدأ بذكر جدى المذكور أول الكتاب لما أشرت إليه في ترجمته من الأسباب »(١٩).

ويقول محمد بن جابر الوادى آشي في برنامجه « . . . أما بعد فان بعض أرباب الرواية ذا الشغف بها والعناية أحب أن أقيد له أسماء من لقيته من شيوخي الجلة ، زمن مقامي بتونس وفي

زمني الرحلة ، وأسمى له ما أخذته عنهم كائنا ماكان على حسب الوسع والامكان ومن أجازني ممن لقيته وأخذت عنه أو ممن لم أخذ عنه أو كتب لي بها من المشرق والمغرب ، وأفصح له عن جملة ذلك وأعرب فأجبته لما سأل وجعلته له في جزأين كما أمل : في أحدهما أسماء الشيوخ وأنسابهم وكناهم ، وماأمكن من ذكر مواليدهم ووفياتهم وأناشيدهم ، وفي الآخر ذكر المأخوذ عنهم مضافا لهم مافيه من علو سند لكن بالاجازة ، معتمدا في ذلك طريق ذوي الاستجازة ، ان فات حصول المأمول منهم في ذلك اللائق لتعرض الشواغل على السند المطابق راجيا في علو السند »(٢٠).

ولقد أوجز ابن عطية الهدف من فهرسه في مقدمته المختصرة جدا عندما قال : هذه تسمية من لقيته من الشيوخ حملة العلم وذكر ما رويته عنهم ومن أجازني(٢١).

وعلى العكس من ذلك أفاض التجيبي في برنامجه في سرد دوافعه إلى تأليفه فقال :أما بعد فأنه لما كان جلتنا معشر فئة الحديث وقدوتنا في القديم والحديث قد بينوا إلينا أن الرواية سبب في الدراية ، وقرروا لدينا أن الدراية منقذة من الجهل والغواية ، مفرقة بين الضلال والهداية . وكان أيضا كل واحد منهم أوجلهم قد ألف برنامجا جمع فيه ما من مروياته افترق ، وبين فيه ما له في دواوين العلم من الطرق ، رأيت أن اتعلق بأهدابهم وأتمسك بأذيالهم وأستضيء بأنوارهم وأقتدي بآثارهم وأجمع برنامجا يضم ماحضرني الآن ذكره مما قرأته أو سمعته أو تلفق لي من النوعين أو من أحدهما ، مع مناولة لسائر ذلك المقروء أو المسموع أو اجازة معهما أيضا أو مع أحدهما ، وربما ذكرت ماليس لي فيه الا مناولة فقط ، على أن ماوقع لي من ذلك نزر قليل والله يهدينا إلى سواء السبيل . وأما ماليس فيه من المجموعات الا مجرد الاجازة فلم أعرج عليه ولا ثنيت عناني إليه وان كان اسنادي في ذلك المجموع في غاية القرب والوجازة ، اذ في ذكر المأخوذ بها كثرة وطول وكل طائل مملول . على أني قد اتبع بعض المقرؤ أو المسموع باسناد آخر عال ان وقع لي بالاجازة لكن العمدة على الطريق الأول في هذا المجموع(٢٢).

وثمة سبب آخر وضع ايدينا عليه د. عبد العزيز الأهواني بخلاف الأسباب التي ذكرها سابقا العلماء في مقدمات فهارسهم ، وهو شعور الوفاء بين العالم وشيخه وحنين العالم إلى أيام الدرس والطلب . وقد عبر أبو الحسن الرعيني في مقدمة برنامجه عن هذا السبب بقوله : « فأثبت ما لم يفلتـه ذكـرى ، وأوردت مالم يربت فيه فكري من أسماء الأشياخ الذين لقيتهم وأخذت عنهم ، والافصاح ببعض مااستفدته منهم وان كان قد أتى على كثير من ذلك مايختص به الانسان من نسيان ، وذهب معظم المقيد والمستفاد بالتردد في الاسفار والتحول عن الأوطان ، وفرقته شذر

مذر هوائج الفتن وحوادث الزمان . . . ومما حثني على اثبات ذلك واكتتابه ، وحداني إلى ايراده واجتلابه ما حدثني به الشيخ الصالح أبو الحسن على بن أحمد الفافقي اذنا ، قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى قال : سمعت القاضي أبا علي الصدفي يقول سمعت أبا محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي الامام رحمه الله يقول : يقبح بكم أن تستفيدوا بنا ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا . . . كما قال محمد بن اسحق بن راهويه : قل ليلة الا وأنا أدعو لمن كتب عنا وكتبنا عنه . . . »(٢٣) .

واذا كان تلك هي أهداف وغايات فهارس الشيوخ فما هي القيمة الحقيقية لها وماهي الأهميات التي نستقيها منها ؟

ان البحث العلمي الموضوعي والمنصف يؤكد أن المسلمين قد عرفوا علم الببليوجرافيا بكل فروعه قبل أوربا بعشرة قرون على الأقل حيث لم يتبلور هذا العلم في أوربا قبل القرن الثامن عشر بينما تبلور علم البيليوجرافيا عند المسلمين مع بدايات الثامن الميلادي (الثاني الهجري) . ان الببليوجرافيا الحيوية ـ أحد فروع علم الببليوجرافيا ـ التي تسعى إلى حصر وتسجيل ووصف الانتاج الفكري لمؤلف معين أو الذي درسه عالم معين مع اعطاء معلومات عن المؤلف ، هي احدى الأنشطة الببليوجرافية الرائعة التي عرفها المسلمون ومارسوها بكفاية واقتدار وتمثلت في آلاف الفهارس التي انتجوها ووصلنا خبرها كما وصلنا الكثير من نماذجها ، ومن تلك النماذج التي وصلتنا وأخضعناها للدراسة نخرج بالعديد من النتائج والفوائد نصور أهمها على الوجوه الآتية :

١ ـ أنها تصور خير تصوير طرق تحصيل العلم من المهد إلى اللحد كما يقال ومراحله وسبل التواصل العلمي من جيل إلى جيل في الزمان ومن شخص إلى شخص بالجيل الواحد في المكان ، فقد كشفت عن وجود ثلاث مراحل في حياة العالم من الناحية التعليمية والتربوية المرحلة الأولى هي المرحلة الابتدائية (الابتداء) التي يشترك فيها الولدان جميعا حيث يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن الكريم وبعض النحو والشعر . والمرحلة الثانية هي مرحلة الانقطاع للعلم والتفرغ لتحصيلة والاستعداد لاتخاذه مهنة أو وظيفة بالنسبة لبعض الاشخاص فقط ـ بينما ينصرف أقرانهم إلى ممارسة أعمال أخرى زراعية أو تجارية أو حرفية ـ وهذه المرحلة بالنسبة لهؤلاء الأشخاص مرحلة طويلة نسبيا وشاقة ويلتقي فيها الطالب بشيوخه وأساتذته ، ويدرس فيها الطالب كتبا مقررة على أساتذة متخصصين تقام حلقاتهم في المساجد أو في بيوتهم وقد يكون للطالب في هذه المرحلة قراءات حرة خارج الكتب المقررة . أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة احتراف

العلم والعمل به حيث يصبح الطالب استاذا معلما يأخذ عنه الآخرون . وهنا أيضا كما في المرحلة الثانية تكشف فهارس الشيوخ عن طرق أخذ العلم وطرق تحصيله وأساليب التواصل العلمي وهو ماسوف نعالجه تفصيلا في النقطة التالية لأهميته وخطورته(٢٤).

٢ - تكشف هذه الفهارس اذا ما تتبعناها في عصور مختلفة متلاحقة عن تطور حركة الفكر ونشاط التأليف في شتى مجالات المعرفة الانسانية عند المسلمين عبر القرون ، ويتأتى لنا أن نتلمس الروافد الثقافية المكونة لملكات علمائها ، وأن نتعرف على مدى الاقبال على كل موضوع ومجال الأعلام العاملين الذين برزوا فيه ، وعلى سبيل المثال فاننا لو حللنا مضمون ثبت البلوى لوجدناه يحتوي على علوم ومعارف متعددة كما يمدنا بمعلومات غزيرة في مجالات شتى درسها هذا العالم وجادت في زمانه . هذه الموضوعات التي تطرق إليها ثبت البلوى هي :-

أولا : العلوم الدينية والشرعية ، وتضم القرآن من تفسير وقراءات وتجويد وعلوم الحديث والفقة وأصول الفقة والسيرة النبوية .

ثانيا : علوم اللغة والأدب ، ويدخل فيها النحو والصرف والبلاغة والعروض والشعر .

ثالثا : العلوم الاجتماعية ، ويدخل فيها الجغرافيا والرحلات والتاريخ والسير والآنساب .

رابعا : العلوم العملية ، وتضم الطب والصحة والصيدلة والزراعة والميكانيكا (علم الحيل) .

خامسا : العلوم الطبيعية أو البحتة ، مثل الطبيعة والكيمياء (الصنعة) والجيولوجيا والبيولوجيا والفسيولوجيا والأرصاد .

سادسا : الرياضيات ، كالحساب والجبر والهندسة .

سابعا : العلوم الفلسفية ، وتتمثل في الفلسفة والمنطق والميتافيزيقا والتصوف وعلم الكلام(٢٥).

هذه الموضوعات جميعا انتشرت دراستها في عصر البلوى (المتوفى ٩٣٨هـ - ١٥٣٢م) وقد عكس لنا فهرسه ذلك ، فطالما أنه درسها ومثل لها بكتب دراسية شائعة فلابد وأن تكون قد جادت في عصره . أما فهرسة مارواه عن شيوخه أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الاشبيلي (٥٠٢ - ٥٧٥هـ / ١١٠٨ - ١١٧٩م) . فيعكس الموضوعات التي درسها في القرن السادس الهجري وهي :-

علوم القرآن ـ الموطآت ـ الفقه ـ المسانيد ـ غريب الحديث ـ علل الحديث ـ السير والأنساب ـ أصول الدين ـ كتب الأشربة ـ كتب الفرائض ـ عبارة الرؤيا ـ الزهد والرقائق ـ كتب الأنحاء واللغات والآداب والشروحات وأشعار العرب ـ كما تضمن هذا الفهرس ما درسه من تأليف عدد من الأشخاص بصرف النظر عن موضوعاتها ومنها تواليف أبي بكر بن أبي الدنيا ـ وتواليف أبي سعيد بن الأعرابي ـ تواليف أبي بكر محمد بن الحسين الآجري ـ تواليف أبي ذر عبد بن أحمد الهروى(٢٦).

وهكذا تعتبر فهارس الشيوخ مصدرا خصبا للوقوف على مجالات المعرفة التي سادت في فترة معينة من العالم الاسلامي ، كما تكشف نفس هذه الفهارس بطريق التحليل عن كساد سوق بعض المجالات في فترات معينة ، ومهما يكن من أمر فأننا نخرج من هذه الفهارس اذا ما تتبعناها من القرن الثاني وحتى القرن الحادي عشر الهجري بأن سوق دراسة (علوم القرآن) و (علوم الحديث) لم تكسد في يوم من الأيام لأنها كانت المجالات الأساسية في الدراسة والعلم .

٣ ـ تكشف هذه الفهارس بوضوح عظيم عن أهم وأخطر مراكز العلم في العالم الاسلامي في فترة زمنية معينة ، اذ تحفل بذكر الأماكن التي كان الطلاب يتلقون فيها العلم والتي كانوا يلقون فيها اساتذتهم ، والأماكن التي كانت تشد إليها رحال تلاميذ العلم . هذه الفهارس لم تكتف بذكر أسماء المدن بل كانت تحدد المواضع داخل تلك المدن التي كانت دورا للعلم . وعلى سبيل المثال تظهر في فهرسة ابن خير الاشبيلي أماكن علم : أشبيلية ، أتاوى (مدينة بازاء عنبر) استراباذ (مدينة من أعمال جرجان) ، الاسكندرية ، انطاكية ، أيلة ، الأهواز ، بخارى ، البصرة ، بغداد ، (الكرخ بالجانب الغربي من بغداد) ، بلنسية ، بيت المقدس ، الجزيرة ، جزيرة بحر العلم ، الجزيرة الخضراء ، حران ، حركش (قرية من قرى سرقسطة) ، خراسان ، دبرة (قرية قرب صنعاء) ، سرى من رأى ، سوسة ، شاطبة ، صنعاء اليمن ، قرطبة ، كرمان ، الكوفة ، مالقة ، المدنية ، مرسية ، القاهرة ، المنستير ، الموصل ، نيسابور ، هراة ، همذان ، واسط . . . بينما مشيخة الجوزي تذكر : أذربيجان ، اسفرايين ، اصبهان ، بزان ، الجزائر ، حلب ، حمص ، حماه ، دمشق ، عبادان ، مكة ، نهاوند ، واسط من بين الأماكن مراكز العلم في زمانه (توفى ٥٩٧هـ) . وفي فهرس

ابن عطية تظهر : الرملة ، الزهراء ، سفاقس ، صيقلية ، غرناطة ، فاس ، كتندة ، مالقة ، مراكش ، المهدية ، ميورقة ، نبرة ، نيسابور ، هيراة من بين أشهر الأماكن مراكز العلم .

ولا تقتصر الفهارس على ذكر أسماء المدن والقرى مراكز العلم في العالم الاسلامي بل تحفل كذلك بذكر أسماء المدارس والربط والمساجد التي كان يلقى بها العلم وتزخر بحلقات الدرس ومن بين تلك المواضع : تربة أم الخليفة الناصر ، تربة عبد الوهاب الأنماطي ، جامع القصر ، جامع المنصور ، دار الحديث الضيائية ، رباط باب سور الحلبة ، رباط أبي بكر العامري ، رباط بهروز ، رباط أبي الحسن الزوزني ، قبر بشر الحافي ، قبر معروف الكرخي ، المارستان الصغير ، متحف دار الجلولي (بصفاقس) ، مدرسة باب الأزج ، مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي ، مدرسة قراسنقر ، المدرسة المأمونية ، المدرسة النظامية ، مسجد البصرة ، مسجد بيت القياد ، مسجد درب الشاكرية ، مسجد رسول الله ، مشهد السيدة زينب ، مقبرة قريش ، جامع قرطبة ، جامع الخليفة ، تربة عفان بفسطاط مصر ، زقاق الطحانية ، زقاق مهدة ، سوق بربر ، فيد (حصن في طريق مكة) ، الروضة المقدسة (بين القبر والمنبر بالمدينة المنورة) ، مسجد الخليل ، الجامع العتيق(٢٧).

وهكذا فان هذه الفهارس تعتبر مصدرا خصبا ودقيقا لدراسة مراكز العلم ومدارسه في العالم الاسلامي ، فان كنا من بضعة فهارس قد خرجنا بهذا العدد من المدن والقرى والمواضع التي كان يلقى بها العلم ، فما بالنا اذا درسنا آلاف الفهارس التي وصلتنا عبر القرون الاسلامية المتعاقبة ، لابد وأن تكون الحصيلة ضخمة ، مما يبرر الوقوف عليها وبعثها إلى النور .

٤ - تكشف هذه الفهارس عن الكتب الهامة في فترة زمنية محددة وتلك الكتب الهامة التي امتدت أهميتها والحاجة إليها على مساحة زمنية واسعة . فالنظرة التحليلية المتأنية إلى فهارس الشيوخ تبرز وجود كتب أساسية للدراسة في كل زمان بل وكل مكان وخاصة عندما تجمع عليها تلك الفهارس أو يقرؤها الطالب أو يسمعها على العديد من الشيوخ ، مثل كتاب شمائل النبي ﷺ ، وكتاب تفسير القرآن ، وكتاب ناسخ القرآن

ومنسوخه ، كتاب علل الحديث ، كتاب الضعفاء والمتروكين ، اختيارات المفضل والأصمعي ، الموطأ ، سيرة ابن هشام ، جامع البيان ، الجرح والتعديل ، تاريخ بغداد . ومن الطريف هنا أن بعض الكتب كانت أساسية في المشرق العربي بينما كتب اخرى كانت هي الأساسية في الأندلس والمغرب العربي ، وكانت هناك كتب مشرقية بعينها تروج في المغرب بينما كتب مغربية وأندلسية بعينها كانت تروج في المشرق العربي وهكذا . وفي هذه النقطة بالذات تعين الفهارس في دراسة الكتب المقررة في المشرق وتلك المقررة في المغرب العربي والأندلس كل على حدة وماكان منها دراسيا مقررا على نطاق العالم الاسلامي بأسره وماكان قاصرا على بلد محدد داخل المشرق والمغرب(٢٨).

٥ - تكشف هذه الفهارس كذلك عن العلماء الأفذاذ في المجالات المختلفة وفي فترات زمنية معينة ، وبمعنى آخر تميط اللثام عن المدارس الفكرية التي وجدت في العالم الاسلامي وتعاقب تلك المدارس . فهذه الفهارس لم تكتف بحصر وتسجيل ووصف الكتب التي استخدمت حتى ككتب دراسية بل تجاوزت المعلومات البيليوجرافيات إلى حصر سلسلة العلماء والشيوخ الذين توفروا على تدريس تلك الكتب مما يشير إلى اعتناقهم الفكر الموجود فيها وهذا هو معنى المدرسة الفكرية ، وهذه الفهارس تقدم في أغلب الأحيان معلومات بيوجرافية عن هؤلاء الشيوخ الذين حملوا العلم إلى الآف الطلاب ، ومكانة كل منهم ونبذة عن حياته الشخصية والعلمية ودراسته وتكوينه(٢٩).

٦ - ومما يؤكد على أهمية هذه الفهارس أنها هي نفسها كبيليوجرافيات حيوية كانت مجالا للدرس والبحث شأنها في ذلك المجالات الأخرى كالتاريخ والجغرافيا والشعر والكيمياء والفلك والطب . وكان الطلاب يدرسونها ، وعلى سبيل المثال فان ابن خير الاشبيلي قد درس ضمن مادرس من أمهات الكتب أربعا وسبعين فهرسا ، والتجيبي درس ثمانية وعشرين فهرسا ، والنعال البغدادي درس أربعا وثلاثين فهرسا ، بينما الوادي آشى يبلغ مجموع مادرسه من فهارس عشرة ، وابن عطيه بلغ مجموع مادرسه هو الآخر ثمانية ، ودرس المجاري سبعة عشر فهرسا . وهكذا كان حرص الدارسين بالغا على دراسة وتعلم مايتيسر من فهارس لاعتقادهم الجازم بأنها تحوي مصادر العلم في تخصصهم ، وهم على حق في هذا الاعتقاد ، كما جاءت هذه الدراسة أيضا نتيجة توجيه أساتذتهم لهم في هذا الصدد . ومن هذا المنطلق يمكننا القول أن هذه الفهارس كانت بداية لمولد علم الببليوجرافيا عند المسلمين وهو أمر يستحق دراسة مستقلة(٣٠).

٣ ـ طرق الاتصال العلمي بين علماء المسلمين كما تكشف عنها فهارس الشيوخ

ذكـرنا في النقطة السابقة أن من بين فوائد وأهميات فهارس الشيوخ أنها تكشف لنا عن طرائق تحصيـل العلم وسبـل التواصل العلمي بين الأجيال في الزمان وعلماء الجيل الواحد في المكان ، وآن لنا أن نتوقف في هذه النقطة لمعالجة تلك الطرق وتناول تلك السبل . فقد كان المسلمون يطلقون على العملية التعليمية ، عملية انتقال العلم من جيل إلى جيل ومن عالم إلى آخر اصطلاح « الرواية » ، وهذا الاصطلاح يشير إلى أخذ العلم أو حمله أو تحمله من الأستاذ الشيخ وإلى الطالب التلميذ .

والأصل في الرواية هو أخذ الخلف عن السلف والصغير عن الكبير والأقل علما عمن هو أكثر علما ، الا أنها قد تشذ عن ذلك فتقع في فئة من الفئات الثلاثة الآتية :ـ

١ ـ رواية الأقران أي أن يكون الطالب والشيخ في سن واحدة تقريبا وعندما يروى الواحد منهم عن الآخر فهو من قبيل الاعتزاز والثقة والمجاملة كما يحدث في أيامنا هذه عندما يستشهد أستاذ بآخر من سنه ومقامه أو بزميل له في نفس التخصص .

٢ ـ رواية الأكابر عن الأصاغر ، كأن يكون الطالب كبير السن أو المقام ولكنه قليل العلم والحفظ ولذلك يأخذ العلم ممن هو أصغر منه سنا وقدرا ولكنه أعلم منه ، وربما يحمل الفقيه العلم إلى من أفقه منه .

٣ ـ رواية السابق واللاحق ، كما في رواية الأبناء عن الآباء أو العكس الآباء عن الأبناء ، كما قد يشترك الاثنان في الأخذ عن شيخ واحد(٣١).

والرواية هي أساسا نقل العلم بالاسناد أي كما نفعل الآن في الاشارة إلى المصدر باتباع المنهج العلمي في نسبـة المعلومـات إلى أصحـابهـا تحقيقا للأمانة العلمية . ولقد وضع العلماء المسلمون شروطا لحمل العلم أي روايته وأخذه وشروطا أخرى لتأدية العلم أي تقديمه للآخرين فمن شروط الأخذ توافر حسن النية أي الجدية والرغبة في الاستفادة الحقيقية والعمل بما يستفيد المرء ويتعلمه منه ، ويبلغه إلى مستحقه ، ولقد جاء في بعض فهارس الشيوخ التي نحن بصدد دراستها : « ان استطعت ألا تموت الا وأنت تكتب فافعل » وقيل « الدنيا كلها جهل الا ماكان

علما والعلم كله على صاحبه حجة الا ماكان عملا والعمل كله موقوف الا ماكان اخلاصا » .
ومن شروط حمل العلم كذلك العناية بتعلم اللسانيات أي علم اللغة لئلا يلحن المرء أو يصحف في الكلام الذي يحمله فيفهمه على غير معناه . . . ومن شروط الحمل اختيار الثقة من الأساتذة الشيوخ المشهورين بالاتقان والحفظ وعدم الغفلة فقد حدث أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « هذا العلم دين فأنظروا عمن تأخذونه » كما قال « لا تأخذوا العلم الا ممن تجيزون شهادته » . وقال مالك « لاتأخذوا العلم عن أربعة ، وخذوا ممن سواهم ، لايؤخذ من سفيه ملعن بالسفه وان كان أروى الناس ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من كذاب في أحاديث الناس وان كنت لا تتهمه بكذب على رسول الله ﷺ ، ولا من شيخ له عبادة وفضل اذا كان لا يعرف الحديث » . ومن أطرف شروط أخذ العلم وتلقيه القيام ببر الأستاذ الشيخ والرفق به والمتملق له ليستخرج منه بذلك الفوائد ، قال ابن قتيبة : ليس الملق من أخلاق المؤمن الا في طلب العلم .

أما شروط التأدية أي التدريس فمن بينها كما ورد في فهارس الشيوخ تحرى الصدق فيما يقدم للطلاب وتوقى التدليس في الرواية والتزين بزينة التقوى والبعد تماما عن التساهل في الأمور ، ومنها تحريض الطالب وترغيبه في العلم والانة الجانب له وترك البخل عليه بالفوائد ، وأن يكون على الافادة أرغب من الطالب في الاستفادة . ومنها أن يروى كتب الآخرين من غير زيادة ولا نقصان وان أمكن دون تبديل لفظ بآخر واذا كان لابد من تبديل الألفاظ والاكتفاء بنقل المعنى فلابد للراوي من أن يكون من أهل البصر بمعاني الألفاظ(٣٢).

ان من يحلل فهارس الشيوخ تحليلا دقيقا متأنيا يكتشف وجود ثماني طرق لرواية العلم أي أخذه أو تلقيه أو حمله أو تحمله حسب تعبير تلك الفهارس . لقد كان التلاميذ الطلاب يأخذون العلم عن أساتذتهم الشيوخ بطريقة من أو بعض كل الطرق الآتية :-

أولاً : السماع ، وهو أن يلقي الأستاذ الشيخ المادة العلمية على طلابه سواء من كتاب يقرؤه عليهم أو من محفوظاته ، وسواء كان الطلاب يكتبون وراءه مايسمعونه أو يكتفون بالسماع والاستيعاب فقط . وكان السماع هو الطريقة الغالبة في القرون الأولى للهجرة في أخذ الأولين للعلم وذلك لاعتمادهم على الذاكرة أكثر من اعتمادهم على القراءة والكتابة . وقد أكد ابن خير الاشبيلي في فهرسه أن السماع هو أعلى مراتب أخذ العلم وربما تجيء هذه الطريقة في المقام الأول للاتصال العلمي بسبب قدمها .

وتشيع في فهارس الشيوخ عبارات « سمعت عليه كتاب » أو « اسمعنا كتاب » ، « أخبرنا » ، « حدثنا » ، « أنبأنا » وكلها تفيد معنى السماع وان كانت هذه الكلمات الثلاثة الأخيرة أقل مرتبة من الأولى في معنى السماع . ولعله من نافلة القول أن كلمة حدثنا تختصر في فهارس الشيوخ إلى « ثنا » وأنبأنا وأخبرنا تختصران إلى « نا » لكثرة تردد هذه الكلمات في تلك الفهارس(٣٣).

ويؤكد السماع في تلقي العلم قول رسول الله ﷺ « تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم » وقوله ﷺ « نضر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها فأداها كما سمعها »(٣٤).

ثانياً : القراءة (أو العرض أو العرضة) : وهي عكس السماع حيث يقوم الدارس بقراءة الكتاب بين يدي الأستاذ الشيخ ، والشيخ يتابع ويشرح ويفسر ويسأل والدارس يفهم ويجيب . وقد يمسك الشيخ بالأصل والدارس يقرأ من نسخة أو يتابع الشيخ من حفظه . وقد يقوم بالقراءة تلميذ آخير غير الدارس ، ولكن الدارس يعتبر في هذه الحالة قارئا أيضا(٣٥).

قال يحيى بن عبد الله بن بكير : لما عرضنا الموطأ على مالك بن أنس رحمة الله قال له رجل من المغرب ، ياأبا عبد الله أأحدث به عنك قال نعم ، قال وأقول حدثنا مالك ؟ قال نعم أما رأيتني فرغت نفسي لكم وسمعت عرضكم وأقمت سقطة وزللة فمن حدثكم غيرى !! نعم حدثوا به عني وقولوا حدثنا به مالك وسماع العرض على الشيخ كالعرض سواء لافرق بينهما في المعنى(٣٦).

فالقراءة اذن هي قلاوة من كتاب أو تسميع مافيه أمام الأستاذ وفي كلتا الحالتين تسمى عرضا . ويفضل العلماء طريقة القراءة من الكتاب لأن العرض فيه أوثق وآمن من التسميع فهذا خوان على حد تعبير ابن حجر العسقلاني .

ويختلف العلماء في قيمة القراءة بين طرق الاتصال العلمي عامة والسماع بصفة خاصة ، فمنهم من يرى كما ذهب الامام أبو حنيفة النعمان وسفيان الثورى أن القراءة أفضل من السماع . ويقولون في هذا الصدد أن « قراءتك على العالم خير من قراءة العالم عليك » فالقصد هنا أن القراءة عليه خير من السماع منه فقد يسرح الطالب اثناء السماع من العالم .

ومنهم من يرى أن القراءة دون السماع درجة ، وقد يكون للحديث النبوي الذي أشرنا إليه في السماع أثر في ذلك ، كما قد يكون لتفضيل الأولين السماع واعتمادهم عليه في تحصيل العلم أثر في ذلك أيضا . وقد يكون الأمر لأن الطالب المتعلم هو الذي يبذل الجهد بينما في حالة السماع فان الجهد الأكبر يأتي من الشيخ الأستاذ ولذلك فان الأغلبية تفضل السماع على القراءة درجة(٣٧).

بينما يرى فريق ثالث ومنهم الامامان مالك والبخاري أن القراءةوالسماع متساويان في الدرجة لوجود قدر من التفاعل بين السماع والقراءة . فالقراءة يتبعها السماع حيث يشرح الشيخ ماقرأه التلميذ والتلميذ يسمع الشرح وهكذا .

وتشيع في فهارس الشيوخ عبارات « قرأت على الشيخ وهو يسمع » ، « قرىء علي الشيخ وهو يسمع وأنا كذلك أسمع » ، « حدثنا الشيخ قراءة عليه » ، « أخبرنا الشيخ قراءة عليه » أو « سمعت من الشيخ قراءة عليه » ، « قرأت عليه ـ رحمه الله ـ غير مرة » ، « قرأت عليه مرات كثيرة عرضا وحفظا » . . .

ويلاحظ في فهارس الشيوخ عند ترتيب طرق الأخذ والرواية أن السماع يأتي غالبا أولا ثم يليه القراءة أو العرض ثم الطرق الأخرى كما سنرى فيما بعد . يقول محمد بن خير الاشبيلي على سبيل المثال في فهرسته « فاعلموا أن للرواية مراتب أعلاها سماع الراوي قراءة المحدث للكتاب الذي رواه أو ايراده للحديث من حفظه وسماعه من فلق فيه . وبعدها عرض الراوي للكتاب أو الحديث وسماع الشيخ ذلك منه ثم بعد ذلك مناولة الشيخ المكتاب الذي رواه عن شيخه ثم بعدها اجازة الشيخ للطالب أن يحدث عنه بالكتاب الذي رواه واباحته ذلك له »(٣٨).

ثالثاً : المناولة : وهي أن يقدم الأستاذ الشيخ لتلميذه نصا مكتوبا يدا بيد ويطلب منه أن يروى عنه . والمناولة بهذا الشكل معناها أن النص صح لدى الأستاذ وأن الطالب مخول من قبله في تدريس هذا النص أو الفتيا بما جاء فيه أو على الأقل تعلمه والعمل به . هذا النص قد يكون من تأليف الشيخ أو من روايته . وتتفاوت نظرة العلماء إلى المناولة من حيث قيمتها في عملية الاتصال العلمي . بعضهم يراها أعلى درجة من القراءة والسماع . هذا البعض يستشهد على ذلك بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد كتب

الرسول ﷺ لأمير السرية كتابا وقال له لا تقرأ حتى تبلغ مكان كذا وكذا فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي فهذا هو النبي قد ناول أمير السرية كتابه ولم يقرأه عليه ولا عرضه أمير السرية عليه ثم أن أمير السرية قرأة على السرية فامتثلوا مافي الكتاب وأخذوا به وبلغ ذلك النبي فرضيه وأقر عليه فقامت بذلك الحجة على المناولة ، وأهميتها في التواصل العلمي بين علماء المسلمين . نجد ذلك أيضا في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم « ألا يمس القرآن الا طاهر » فهذا الحديث هو الآخر أصل في صحة الرواية على وجة المناولة لأن النبي دفعه إليه وأمره به فجاز لعمرو بن حزم العمل به والأخذ بما فيه . وبعضهم يرى أن المناولة أدنى مرتبة لأنه لايوجد تفاعل فكري بين الأشتاذ والطالب ودور الأستاذ فيها هو مجرد الموافقة على صحة النص وصلاحيته ، بل ان البعض يراها من هذه الزاوية مجرد ضرب من ضروب الاجازة المعينة كما سنرى فيما بعد(٣٩).

والمتأمل في فهارس الشيوخ يمكنه تقسيم المناولة إلى عدة أشكال أهمها :ـ

أ ـ أن يدفع الشيخ كتابه الذي ألفه بنفسه أو رواه عن أستاذ له أو انتخبه من كتب أخرى بخطة أو بتصحيحه لخط غيره ويقول للطالب ملكتك هذا الكتاب فخذه واروه عني .
هذه الصورة كما يرى البعض هي أقوى صور المناولة . وتسمى المناولة المقرونة بالاجازة ولقوتها قد تفضل السماع والقراءة لأن كتاب الشيخ بخطه أو تصحيحه مع الاذن أعلى مستوى وأكثر ثقة . وان كان الامام النووي يرى أنها أقل فيقول « والصحيح أنها منحطة عن السماع والقراءة » .

ب ـ أن يدفع الشيخ الكتاب إلى الطالب ويقول له خذ هذا الكتاب وانسخه وقابله ثم اصرفه إلى ، أي أن هذه الصورة أقرب إلى الاعارة المؤقتة . وهذا الشكل في قوة الشكل السابق .

جـ ـ أن يأتي التلميذ شيخه بكتاب من مرويات هذا الشيخ أو من تأليفه ويطلب اليه أن يتفحصه ويقره على روايته عن طريق المناولة فيفعل . فاذا قال الشيخ للطالب ارو عني هذا فقد ناوله . ويرى البعض أن هذه الصورة من صور المناولة أقل مرتبة من الصورتين السابقتين .

د ـ أن يأتي التلميذ شيخه بكتاب ـ أي كتاب ليس من مرويات الشيخ أو تأليفه ـ ويسأله أن

يناوله اياه فيجيبه الأستاذ بالقبول دون أن ينظر في الكتاب أو يراجعه أو يقابله . ومن الواضح أن هذا الشكل هو أضعف أشكال المناولة(٤٠).

وثمة شبه اجماع على أن المناولة دون تلميك أو اعارة كما هو الحال في الشكلين الثالث والرابع ليست من المناولة في شيء بل هي مجرد ضرب من ضروب الاجازة بل انها في تصوري لايمكن اعتبارها من طرق الاتصال العلمي . وان كان أبو الفداء اسماعيل بن كثير يرى أن الكتاب اذا كان مشهورا مقروءا واسع الانتشار مثل صحيح البخاري أو مسلم يمكن مناولته بدون تمليك أو اعارة وهذا رأس شخصي له(٤١).

رابعاً : الاجازة : وهي السماح أو الاذن المكتوب من الاستاذ إلى الطالب برواية أو حمل المادة العلمية عنه وتدريسها أو الفتيا بما جاء فيها وتعبر الفهارس عن الاجازة بعبارة بليغة هي « كتابة أهل العلم بالعلم إلى الآخرين » . والطالب في هذه الحالة يعرف بالمستجيز والشيخ أو الأستاذ يعرف بالمجيز . والاجازة في الأعم الأغلب تكون مكتوبة في الكتاب المجاز أو في خطاب ويمكن في أحيان قليلة أن تكون شفوية . وليس من الضروري أن تكون الاجازة في كتب قرأها الطالب أو سمعها مباشرة على الشيخ بل قد تكون في كتب يدرسها الطالب بنفسه عن طريق التعليم الذاتي ولم يلتق مع الشيخ فيها . وأكثر من هذا قد تكون الاجازة عن بعد وتسمى في الحالة الأخيرة اجازة المغيب . وهذه الأخيرة تشبه التعليم بالمراسلة . والاجازة أشبه بالشهادة المكتوبة التي تمنح للطلاب بعد اتمام برنامج دراسي معين(٤٢).

والاجازة على أنواع أهمها :

أ ـ اجازة من معينَّ إلى معينَّ في معينَّ : أي أن استاذا بعينه يجيز طالبا محددا في رواية أو تدريس أو تعلم أو حمل كتاب محدد عنه . ونص هذه الاجازة كما وردت في فهارس الشيوخ « أجزتك في أن تحمل عنى هذا الكتاب » أو « أجزتك كتاب البخاري » أو « ما اشتملت عليه فهرستي » .

ب ـ اجـازة لمعينَّ في غير معينَّ : كأن يكتب المجيز للمستجيز «أجزت لك أن تروى عني ماأرويه أو ماصح عندك من مسموعاتي ومصنفاتي» . وهذا النوع له قوة النوع السابق .

جـ ـ اجازة لغير معينَّ في غير معينَّ : كأن يكتب الشيخ « أجزت للمسلمين أو للمحاضرين أو لمعاصري أو للناس كافة رواية هذا الكتاب عني » أو كما حدث في حالة الشيخ أبي

محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني المتوفي سنة ٤٦٨هـ والذي قال « قد أجزت لكل من هو مولود الآن في الاسلام يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ » . وكذلك ماورد في حالة الشيخ أبي على الحسين بن محمد الصدفي « لقد أجزت لهم جميع ذلك مع سائر ماسمعته من جميع الشيوخ ومأأجيز لي في جميع العلوم على اختلافها وقد أجزت لجميع بني هود ولمن أحب الرواية عني من غيرهم من جميع المسلمين أهل السنة ممن هو موجود في هذه السنة » . كما كتب أبو بكر بن أبي خيثمة في كتابه عن التاريخ مانصه « قد أجزت لأبي زكريا يحيى بن أبي سلمه أن يروى عنى ماأحب من كتاب التاريخ الذي سمعه مني أبو محمد قاسم بن الاصبغ ومحمد بن عبد الأعلى كما سمعاه مني وأذنت له في ذلك ، له ولمن أحب من أصحابه ، فان أحب أن تكون الاجازة لأحد بعد هذا فأنا أجزت له ذلك بكتابي هذا »(٤٣).

هذا النوع الثالث يسمى بالاجازة العامة بينما النوع الأول والثاني يسميان الاجازة الخاصة . والنوع الثالث في نظر البعض هو أضعف أنواع الاجازات وقد حرمها البعض . وعلى العموم فان الاجازة كلها بكل أنواعها كطريقة من طرق التواصل العلمي كانت مثار جدل كبير فقال بها البعض وحرمها البعض فالامام مالك وأصحابه يرون أنها من الطرق السليمة في التواصل العلمي . يقول شعبة كتب إلى منصور بأحاديث ثم لقيته فقلت له أأحدث عنك بما كتبت إلى به ؟ فقال نعم أليس اذا كتبت إليك فقد حدثتك ؟ فقال شعبة فلقيت أيوب وأخبرته فقال لي صدق منصور اذا كتب إليك فقد حدثك . منع الاجازة بعض العلماء ولكن يبدو أن منعهم انصب على النوع الثالث فقط(٤٤).

وللاجازة شروط حتى تصح من بينها أن يكون المجيز عالما أي متخصصا بما يجيز به ثقة في مجاله وروايته معروفا بالعلم ، وأن يكون المستجيز كذلك من أهل العلم متسما بسمته حتى لايوضع العلم الا عند أهله بعيدا عن السفهاء وأبنائهم ، وأن يكون المجاز به معارضا بالأصل أو هو الأصل نفسه حتى لا تكون هناك أية اختلافات بينهما . وكان يكره الاجازة لمن ليس من أهل العلم ولا ممن خدمه وقاس صناعته . وكان أبو الحسن على بن وهب يقول ، اذا امتنع أحدهم من اعطاء الاجازة : يجب أن يدعى قسا ولم يخدم الكنيسة . وقال أبو عمر بن عبد البر عن الاجازة « انها لاتجوز الا لماهر بالصناعة حاذق بها يعرف كيف يتناولها وتكون في شيء معين معروف لا يشكل اسناده »(٤٥).

وقد جعل البعض الاجازة المكتوبة أساسا لأخذ العلم وحمله (روايته) لايصح الا بها وبها تتم وتكتمل والا كانت الرواية ناقصة مبتورة . قال أبو محمد بن عتاب وكان من أهل التيقظ والتحرز والتحفظ في حمل العلم انه لاغنى للطالب عن الاجازة : سمع العلم من الشيخ أو عرضه عليه أو سمعه بعرض غيره لجواز الغفلة والسنة والاسقاط والتصحيف والتبديل عليهما أو على أحدهما فان كان الشيخ هو القارىء بلفظه فجائز السهو على المستمع وذهاب مايقرؤ عليه . وان كان غيره فجائز أن يسهو الذي يقرأ عليه ، فاذا اضيفت الاجازة إلى السماع أو العرض احتوت الاجازة على جميع ماتقع فيه غائلة من هذه الغوائل . وكان عبد الرحمن بن أحمد بقى بن مخلد يقول « الاجازة عندي وعند أبي وجدى كالسماع (توفى ابن مخلد ٢٣٦هـ) . قال عيسى بن مسكين «الاجازة قوية وهي رأس مال كبير » وقال نعيم الحافظ بأصبهان « الاجازة على الاجازة صحيحة جائزة » . يقول ابن خير الاشبيلي في الاجازة ، فائدتان : احداهما استعجال الرواية عند الضرورات والثانية ، الاستكثار من الروايات(٤٦).

وتكون الاجازة عادة « باستدعاء » أي بطلب أو سؤال يقدمه الطالب نفسه أو أحد أقربائه أو معارفه للشيخ فيجيزه . وتكتب الاجازة عادة بخط المجيز وقد تكتب بخط غيره أحيانا وغالبا في حضوره . وفي بعض الأحيان تكون الاجازة بغير استدعاء أي أن تكون المبادرة من جانب الاستاذ الشيخ وليس من جانب الطالب .

ومن الواضح من فهارس الشيوخ جميعا أنه لاينبغي لطالب كائنا من كان أن يُدَّرس أو يفتي بغير اجازة لأن ذلك يقع باطلا ، وان من الجائز الحمل أو الرواية أو الأخذ بالطرق الأخرى وحدها(٤٧).

خامساً: المكاتبة : وهي أن يقوم الأستاذ الشيخ بكتابة مادة علمية معينة بخطه بناء على طلب من أحد تلاميذه . والمكاتبة على أربع صور :

أ ـ كتابة الشيخ لتلميذه الحاضر أمامه .

ب ـ كتابة نائب الشيخ لتلميذ الشيخ الحاضر أمامه .

جـ ـ كتابة الشيخ لتلميذ غائب عنه بناء على مراسلات بينهما .

د ـ كتابة نائب الشيخ لتلميذ غائب بناء على مراسلات بينهما .(٤٨).

وقد تكون الكتابة مجردة من الاجازة أي بهدف التلقي والأخذ فقط ، كما قد تكون مقرونة بالاجازة وتكون صيغة الاجازة في الحالة الأخيرة « أجزتك ما كتبت لك أو إليك أو نحو ذلك » .

وتبدأ رواية التلميذ للكتاب في هذه الحالة بالصيغة « كتب إلى فلان ، أو حدثنا فلان أو أخبرني فلان مكاتبة أو كتابة » . ومن الطريف أن الكتابة لغائب ترسل إلى صاحبها مع ثقة مؤتمن بعد ختم النص بخاتم الأستاذ الشيخ على سبيل الاحتياط .

وليس ثمة شك في أن الصورتين الأوليين لا غبار عليهما فالتلميذ يكون حاضرا أثنار كتابة الشيخ أو نائب له ومن ثم يتابع ماكتب والثقة هنا تكون عالية . أما الصورتان الثالثة والرابعة فهما غير مباشرتين ولذا تقضي المكاتبة هنا بضرورة التحرز في أن يكون نائب الشيخ ثقة والرسول الذي يحمل الكتابة مؤتمنا والنص مختوما بخاتم الشيخ كما أسلفت .

والمكاتبة المقرونة بالاجازة في نظر البعض هي من أعلى مراتب الاتصال العلمي ، وان لم تكن مقرونة بالاجازة فانها لا تتيح للمكتوب إليه الرواية بها ، وان جوز البعض الرواية بها على أساس أن نية الشيخ قد انصرفت إلى ذلك حين كتب النص لشيخ معين .

ومن أمثلة المكاتبات مكاتبة العلامة ابن غازي لتلميذه البلوى وقد كانت مكاتبة من النوع الثالث أي مكاتبة لغائب وكانت مقرونة باجازة متلفظا بها أثناء الكتابة حسب طلب المستجيز في كتابه وحسبما أثبته المجيز في اجازته . ومن أمثلة النوع الرابع من المكاتبة مكاتبة العلامة الحوضى لتلميذه البلوى أيضا ، وقد راسله البلوى بشأنها فبعث له الحوضى بها وقد حررها نيابة عنه ولده(٤٩).

سادساً: الوصية : وهي أن يوصي الأستاذ الشيخ بكتاب من مؤلفاته أو مروياته لشخص ما بروايته أو تدريسه ، وذلك عند موته أو سفره . وقد جوّز بعض العلماء الوصية وشبهوها بالمناولة والاعلام ، فكأنما الشيخ بهذه الوصية يخبر الموصى له بترخيصه رواية الكتاب وان لم يصرح بذلك ، بينما بعض العلماء لم يجوز الوصية(٥٠) .

سابعاً: الاعلام : وهو اكتفاء الشيخ باخطار تلميذه أو اخباره بأن كتاب كذا هو من مروياته أو من سماعه أو تأليفه دون أن يجيزه في روايته أو تدريسه . ورغم ذلك فقد جوز بعض العلماء للتلميذ الذي أخبر بذلك تدريس الكتاب لأن الشيخ في نظرهم بهذا الاعلام يكون قد أعطى ضمنيا الاجازة لتلميذه، ويذهب هؤلاء إلى أكثر من هذا فيرون أنه حتى لو أخبر الأستاذ تلميذه بالكتاب ونهاه عن روايته فللتلميذ الحق كل الحق أن يروى الكتاب رغم فقدان اذن الأستاذ . ويرى البعض الأخر أن الاعلام لايعطي التلميذ الحق في رواية الكتاب(٥١).

ثامناً: الوجادة : وهي أن يقف التلميذ بنفسه أو يجد دون مساعدة من شيخ على كتاب بخط عالم مشهور يعرفه وباسناده فيأخذ الكتاب ويدرسه ويرويه عنه من غير سماع أو قراءة أو مناولة أو اجازة أو اعلام أو وصية من ذلك الشيخ ويرى العلماء أن الوجادة هي أقل درجات الاتصال العلمي ويشترطون في رواية مثل هذه الأعمال أن تكون على سبيل الحكاية فيقول الراوية « وجدت بخط فلان » . وقد منع العمل بالوجادة طائفة من العلماء . غير ان الامام الشافعي وأصحابه أجازوا العمل بها ، وآخرون أوجبوا العمل بها ومن هؤلاء العلامة ابن الصلاح لتعذر شروط الرواية في بعض الحالات(٥٢).

ولقد ورد في كثير من الفهارس طرق أخرى للاتصال العلمي ولكن الطرق الثمانية السابقة هي أكثرها شيوعا وترددا في الفهارس وفي كثير من مجالات العلوم ، بينما الطرق الأخرى لاتستخدم إلا في مجال واحد فقط هو حمل الأحاديث النبوية .

ولكثير من أصحاب الفهارس رحلات علمية يقومون بها حرصا على ملاقاة مشاهير الشيوخ المعاصرين لهم في زمان البعيدين عنهم في المكان وأخذ العلم منهم مباشرة ، ونيل الاجازة والأسانيد العالية ، والاستكثار من الشيوخ كما هو الحال الآن في البعثات العلمية والابتعاث إلى الخارج . يقول ابن خلدون في هذا الصدد « ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ حصول الملكات ورسوخها ، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء الشيخ ومباشرة الرجال » .

وتدوين بعض الرحلات العلمية كان يكتسب طابعا فهرسيا ، خاصة عندما يركز الطالب على العلماء الذين اتصل بهم في رحلته والدروس التي حضرها والشيوخ الذين استجازهم والكتب التي قرأها أو سمعها عليهم . من بين هذه الرحلات الفهرسية : رحلة أبي عبد الله محمد بن رشيد الفهرى (ملء العبية فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة) ، ورحلة خالد بن عيسى البلوى القنتوري الأندلسي (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) ، ورحلة أبي الحسن على القلصادي الأندلسي بنفس الاسم ، ورحلة المحدث الكبير أبي طاهر محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني (معجم السفر) ، ورحلة محمد بن جابر الوادى أشى المعروفة باسم (زاد المسافر وأنس المسامر) وغير ذلك كثير(٥٣).

٤ ـ أنواع الفهارس وفئاتها

من واقع فهارس الشيوخ التي تجمعت بياناتها لدى الباحث منشورة ومخطوطة يمكننا تصنيفها إلى ثلاث فئات أساسية حسب طريقة معالجة المادة العلمية بها :

الفئة الأولى : أن يرتب الطالب فهرسه على الشيوخ أو الشخصيات التي درس عليها فيكون المدخل هنا هو اسم الشخص حيث يترجم له مسجلا بياناته البيوجرافية قلت تلك البيانات أم كثرت طالت أم قصرت موضوعية كانت أو بولغ فيها ، وعادة ما يتطرق الطالب إلى ذكر مايتحلى به أستاذه من صفات خُلقُية وأحيانا خِلْقية ، وخصائصه العلمية ويذكر المكان والزمان الذي التقى فيه به وكيفية هذا اللقاء . وبعد ذلك يسرد علينا ماقرأه عليه من كتب ومأأخذه عنه من علم وماحمله من رواية والطريقة التي أخذ بها من الطرق التي عرضنا لها تفصيلا في النقطة السابقة . في هذه الفئة من الفهارس يبدأ الطالب بالمعلومات البيوجرافية وتكون هي الغالبة الطاغية وتأتي المعلومات الببليوجرافية في المرتبة الثانية وعادة ماتكون الأقل . ومعظم الفهارس التي تحمل في عناوينها كلمة معجم تقع في هذه الفئة لأنه يقصد بها سير الشيوخ وبياناتهم البيوجرافية أكثر من المرويات وبياناتها الببليوجرافية(٥٤). ويرى الدكتور عبد العزيز الأهواني أن في هذه الطريقة عيب تكرار بعض الكتب التي تكون قد درست على أكثر من شيخ ، فاذا كان الكتاب قد درس مثلا على أربعين شيخا تكر ر ذكره عند الحديث على كل واحد منهم(٥٥). ولكننا لانجد في ذلك عيبا بل فيه فائدة لأن هذا التكرار يلقي الضوء على أهمية كتاب بعينه يرويه أكثر من شيخ كما هو الحال في الكتب المقررة في جامعات اليوم ، فالكتاب الهام الأساسي يدرسه أكثر من أستاذ في أكثر من جامعة .

اذن فالمدخل الأساسي في هذه الفئة من الفهارس هو اسم الشيخ الذي درس عليه الطالب ، ولكن داخل هذا المدخل تتفاوت طريقة ترتيب الشيوخ تفاوتا كبير ، ويمكن رد هذه الطرق إلى خمس :

أ ـ أن يرتب الأساتذة الشيوخ ترتيبا هجائيا كاملا فيما بينهم بصرف النظر عن زمن

الدراسة أو سن الأستاذ أو مقامه أو تخصصه أو درجة قربه من الطالب ، وعلى هذا النمط من الترتيب غالبية فهارس هذه الفئة . ومن بين تلك الفهارس نذكر معجم شيوخ ابن زاذان (أبو بكر محمد بن ابراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان المقرىء المتوفي سنة ٣٨١هـ)، ومعجم بن جميع الصيداوي المتوفى ٤٠٢هـ، ومعجم أسامي مشايخ أبى على الحداد الأصبهانى المتوفى ٥١٥هـ، ومعجم الحافظ المبارك بن عبد العزيز الأزجي المتوفى ٥٤٩هـ ويقع في خمسة أجزاء كبيرة(٥٦).

من هذا القبيل أيضا معاجم أبى سعد السمعاني الثلاثة وهو المتوفى سنة ٥٦٢هـ أحدها خرجه لابنه المظفر عبد الرحيم السمعاني في ثمانية عشر جزءا وقد أشرنا إليه قبلا . وثانيها المعجم الذي خرجه لنفسه وقد ترحم فيه لمشايخه على ترتيب المعاجم الهجائية وأفراد لشيخاته من النساء حقلا خاصا كملحق في آخر الكتاب . وفيه نحو ألفي وخمسمائة شيخ وشيخة . وثالثها عرف بعنوان التحبير في المعجم الكبير وقد اختصر فيه معجمه السابق إلى النصف تقريبا حيث ترحم كما ألمحنا قبلا لنحو ١١٩٣ شيخا من الرجال والنساء رتبهم كذلك على حروف المعجم(٥٧).

يدخل في هذا النمط من الترتيب كذلك « معجم السفر » لأبي طاهر السلفى المتوفى سنة ٥٧٦هـ، « المعجم المترجم » لزكي الدين عبد العظيم عبد القوى المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ ، ومعجم شيوخ تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ، و « معجم الطالب الفالح من مشيخة قاضي طابة أبى الفتح بن صالح » والتي خرجها له الحافظ ابن فهد الهاشمي المتوفى سنة ٨٧١هـ. وغير ذلك مئات من الفهارس التي وقفنا عليها(٥٨).

ب ـ أن يرتب الأساتذة الشيوخ ترتيبا هجائيا ولكن مع بعض الشذوذ لسبب أو لآخر كأن يبدأ أولا بالمحمديين ، تيمنا بصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وهو نهج كان متبعا في كتب التراجم في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ويدخل في هذا الشذوذ أيضا البدء بالأقارب كالجد أو الأب أو الأم ، أو يبدأ بالأساتذة الأجلاء ـ من وجهة نظره ـ قبل غيرهم . وبعد أن يستنفذ الفهرس هذا الشذوذ في الترتيب يبدأ في ترتيب الآخرين ترتيبا هجائيا متصلا .

ومن الأمثلة على ذلك ماورد في تثب الشماع (عمر بن أحمد بن علي الحلبي الشماع الشافعي الأثري المتوفى سنة ٩٣٦هـ) حيث نص في مقدمة ثبته : « وقد سنح لي أن أفتح بشيخنا شيخ الاسلام زكريا الأنصاري القاهري وان كنت سمعت وقرأت قبله على غير واحد من الأعيان فقدمته لجلالته في العلم والدين يعرف ذلك من وقف على ترجمته في الضوء ونظم العقيان »(٥٩). وممن بدأ بالمحمدين القاضي أبو الفضل ابن غياض في فهرست شيوخه المعروف بالغنية(٦٠)، وممن بدأ بأقاربه ابن عطيه (أبومحمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي المتوفى سنة ٥٤١هـ) الذي بدأ بأبيه(٦١).

جـ ـ أن يرتب الأساتذة الشيوخ ترتيبا زمنيا . حيث يورد الطالب شيوخه طبقا لتاريخ وفاة كل منهم أو طبقا لتاريخ الأخذ عنهم أو الالتقاء بهم . ويفيد هذا الترتيب في دراسة التسلسل الزمني للتكوين العلمي للطالب . ومن الطبيعي أن يبدأ بالأقدم فالقديم فالحذيث فالأحدث وهكذا . من هذه الفهارس « تاريخ وفاة شيوخ البغوى » لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن المرزبان البغوى المتوفى سنة ٣١٠هـ، « وفيات الشيوخ » لأبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات المتوفى ٣٨٤هـ، «وفيات» لأبي المعمر مبارك بن أحمد الأنصاري المتوفى ٥٤٩هـ. وهذه النماذج كلها تدخل في الترتيب الزمني لوفاة شيوخ الطالب(٦٢). أما الترتيب على تاريخ القراءة أو السماع أو المناولة أو الاجازة فيمثله مشيخة شرف الدين أبي محمد عيسى بن عبد الرحمن المقدسي المطعم الدلال ، وكذلك ثبت مسموع حلب لأبي حفص عمر بن محمد بن عمر بن أبي بكر النصيبي الشافعي وأخيه أبي بكر عبدالله(٦٣).

وقد يشذ عن السياق الزمني فيبدأ المؤلف بقريب له أو أحد الأجلاء في نظره كما حدث في مشيخة النعال البغدادي (صائن الدين محمد بن الانجب المتوفى ٦٥٩هـ) الذي ذكر في مقدمة فهرسه : وخرجت في هذا الكتاب جملة من مشايخي المجيزين ، متكلما على حال كل واحد منهم على جهة الاختصار متجنبا في للتطويل والاكثار مرتبا لهم على قدم وفياتهم ـ أعاد الله تعالى علينا من بركاتهم ـ وخرجت في ترجمة كل شخص منهم حديثا واحدا » . ورغم أنه وعد بالترتيب على

تاريخ الوفاة ، إلا أنه بدأ بجده لأمه (أبوالقاسم هبة الله بن أبي العلاء بن شبيبا) الذي توفى ٥٩٣هـ . ثم بعد ذلك انتظم الترتيب الزمني على الوفاة(٦٤).

د ـ أن يرتب الأساتذة الشيوخ على موضوعات الدراسة فيبدأ بمن قرأ عليهم القرآن الكريم وعلومه ثم من درس عليهم الحديث ثم من علموه علوم التاريخ والأنساب وهكذا حتى يأتي على كل المجالات التي تعلمها على شيوخه وعلى هذا الترتيب برنامج أبي الحسن علي بن محمد الرعيني الاشبيلي المتوفى سنة ٦٦٦هـ الذي يبدأ بتسجيل حملة كتاب الله العزيز المتصدرين لاقرائه ثم ينتقل إلى تسجيل « من لقيته وأخذت منه مايسر لي من مصنفات الحديث ومسنداته وكتب الفقه » ويتبع هؤلاء بشيوخه « النحويين والكتاب وحملة اللغات والآداب » ثم « المرتسمين بالكتابة والشعر وحمل الأدب » وهكذا إلى نهاية البرنامج . وهذه الطريقة في ترتيب الشيوخ تكشف عن التخصصات التي كانت شائعة في فترة من فترات العلم الاسلامي(٦٥).

هـ ـ أن يرتب الأساتذة الشيوخ جغرافيا حسب مكان اللقاء والدرس، وهذه الطريقة من طرق الترتيب تبر ز الأماكن التي تعتبر مراكز للعلم ونوع هذا العلم الذي جاد فيها. ومن بين فهارس هذه الطريقة ثبت البلوى الذي يبدأ بأساتذته الأندلسيين ثم الأفارقة ومنها مشيخة أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوى المتوفى ٢٧٧هـ وقد رتبها حسب البلدان التي دخلها واستقى العلم فيها. ومنها كذلك برنامج المجارى (أبو عبدالله محمد المجارى الأندلسي المتوفى سنة ٨٦٢هـ) وتبدأ بشيوخه في غرناطة ثم شيوخه في تلمسان ثم شيوخه في بجاية فشيوخه في تونس وشيوخه في مصر (٦٦).

و ـ أن يصطنع الفهرس عدة طرق من الطرق السابقة، مما يعتبره البعض ترجمة للشيوخ على غير ترتيب محدد. ومنها برنامج ابن فرتون (أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف ابن فرتون السلمى المتوفى سنة ٦٦٠هـ) الذي خلط بين الترتيب الجغرافي والزمني والموضوعي. وهذه الطريقة المختلطة في الترتيب لانصادفها إلا في قلة من الفهارس من حسن الحظ، لأنها تتطلب قراءة الفهرس الواحد من أوله إلى آخره (٦٧).

الفئة الثانية : أن يرتب الـطالب فهرسة على الكتب التي درسها فيكون المدخل هنا هو اسم الكتـاب المـدروس ويغلب على الفهرس البيانات البيليوجرافية وتقل البيانات البيوجرافية والتي تأتي في المرتبة الثانية . واذا لم يكن للكتاب عنوان معروف وصفه الـطالب بوصف من عنـده، وفي هذه الفئة قد يضطر الطالب إلى ذكر الشيخ الواحد أكثر من مرة حسب الكتب التي درسها الطالب على يديه . ولكن عندما يدرس الطالب الكتاب على أكثر من شيخ فانه يذكرهم جميعا تحت هذا الكتاب .

وقـد جرت عادة الطلاب الذين ألفوا فهارسهم بهذا الشكل أن يوزعوا الكتب التي درسوها على مجالات موضوعية حسب أهميتها أو حسب تدرجهم في دراستها في ترتيب زمني حسب وقت الرواية . ففي المقام الأول يأتي القرآن الكريم نصا ثم علومه من تفسير وأحكام وناسخ ومنسوخ وقراءات وتجويد، ثم في المقام الثاني يأتي الحديث وعلومه ومصطلحه وفي المقام الثالث علوم السيرة والأنساب والتـاريـخ، وفي المقـام الـرابع تأتي علوم الشريعة من فقه وأصول الفقه وعلم الكلام. وفي المقام الخامس تأتي علوم اللغة والشعر والأدب . وفي المقام السادس تأتي العلوم الدنيوية من علوم بحتة وتطبيقية . وكل الفهارس التي تعتمد الكتب مدخلا أساسيا لها تفعل ذلك الترتيب ولانجد فيها شذوذا لأنه هو الترتيب المنطقي ولاخـلاف بين الـترتيب على المجـالات والـترتيب الزمني لأن هذا هو التدرج الطبيعي في التعليم الاسلامي، اذ من الطبيعي أن يبدأ الطالب في سن مبكرة في حفظ القرآن ودراسة علومه ثم بعد ذلك يثنى بالحديث وعلومه وهكذا، كما هو الحادث الآن في التعليم الديني في الأزهر الشريف . ومن الأمثلة الدالة على هذه الفئة «فهرسة ماروامه عن شيوخه أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الاشبيلي المتوفى ٥٧٥هـ» الذي بدأ بذكر ماروامه عن شيوخه رحمهم الله « من الدواوين المؤلفة في علوم القرآن من ذلك القراءات ومايتصل بها» ، «ذكر الموطآت» ، «ذكر المصنفـات المتضمنة للسنن أيضا مع فقه الصحابة والتابعين» ،و «من المسانيد المخرجة على أسماء الصحابة» ، «كتب الحديث» ، «شرح غريب الحديث» . . . ثم ينتهي هذا الفهـرس بكتب الآداب واللغـات والشروحـات وكتب الشعراء وأسماء الشعراء . وان كان ابن خير الاشبيلي قد أعطى عنوانا جامعا للموضوع أو المجـال الـذي يسرد فيـه الكتب التي رواها فان آخرين قد وزعوا الكتب على

المجالات دون اعطاء عنوان جامع للمجال بل تتوالى الكتب دون فواصل رغم وضوح الانتقال من مجال إلى آخر ويمثل هذا الاتجاه برنامج التجيبي (القاسم بن يوسف التجيبي السبتي المتوفى سنة ٧٣٠هـ). الذي يبدأ هو الآخر بالقرآن الكريم نصا «اعلم أني قرأت كتاب الله تعالى الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. . . وعرضته عليه من فاتحته إلى خاتمته المرة بعد المرة بحيث لا أحصى ذلك كثرة» ثم يعرض للقراءات، ثم رسم المصاحف، ثم التجويد ويستمر في سرد الكتب على المجالات دون أن ينبه إلى أنه انتهى من مجال وبدأ في آخر كما لو كان ذلك أمرا معروفا للجميع ومنهيا منه وفي آخر البرنامج نجد ماقرأه في مجال الشعر وانتهى البرنامج بالفقرة الآتية: «جزء ضخم فيه جملة من نظم صاحبنا الأديب المقريء الفاضل أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي عيسى لب الانصارى المرسى رحمه الله تعالى وفيه بعض من نثره. سمعت جميعة من فلق فيه بتونس حرسها الله تعالى ورحمه وهو حسبنا ونعم الوكيل»(٦٨).

الفئة الثالثة : تمزج بين الفئتين السابقتين اذ ترتب المفردات مرة حسب أسماء الشيوخ ومرة ثانية حسب أسماء الكتب أو تبدأ في القسم الأول بأسماء الكتب وفي القسم الثاني بأسماء الشيوخ. وهذه الفئة قليلة نسبيا بين فهارس الشيوخ. ومن أمثلتها برنامج الوادى آشى (محمد بن جابر المتوفى ٧٤٩هـ). وقد قسم المؤلف هذا البرنامج إلى جزأين: الجزء الأول رتبه على الشيوخ فبدأ بترجمة أبي العباس أحمد بن الغماز وانتهى بترجمة زينب بنت أحمد المقدسي. والجزء الثاني رتبه على الكتب فبدأ بالقرآن الكريم وانتهى بمشيخة ابن عبد الدائم المقدسي. وقد بلغ عدد الشيوخ الذين درس عليهم ٢٧٨ شيخا وشيخة، بينما عدد الكتب التي درسها ٢٣٨ كتابا معنى هذا أنه درس بعض الكتب على أكثر من شيخ(٦٩). ويمثل هذه الفئة أيضا برنامج محمد بن عبد الملك بن على القيس المنتوري الأندلسي المتوفى سنة ٨٣٤هـ. وقد قسم برنامجه إلى قسمين الأول خاص بالكتب التي درسها فبدأ بذكر مارواه بالقراءة والسماع من الكتب المفردة مرتبا اياها حسب موضوعاتها ثم أتبعها بما أخذ بالاجازة من التآليف على اختلاف أنواعها مقدمات الكتب التي تطول حلقات أسانيدها على التي قل الرواة في أسانيدها. وقد استغرق هذا القسم ٢٢٥ صفحة من

المخطوط، وقد ختم هذا القسم بعبارة «هنا انتهى ماشرطته اولا ورأيت أن أختم هذا البرنامج بتسميته شيوخي» وقد عددهم في القسم الثاني مقتصرا على الاسم والنسبة وتاريخ الولادة والوفاة، مقدما الذين أخذ عنهم مباشرة وهم أربعة عشر شيخا وأردفهم بالذين أخذ عنهم من غير لقاء وانما بالاجازة العامة وعددهم خمس وعشرون شيخا من مناطق مختلفة(٧٠).

ويقع هنا أيضا فهرس السراج (أبو زكريا ويحيى السراج المتوفى ٨٠٥هـ) وقد قسمه إلى خمسة أبواب الأول في فضل الحديث وأهله ووجوب التثبت في حمله ونقله والثاني في القول بالاجازة وضمنها وأنواع طرق التحمل وهذان البابان من المقدمات التي نصادفها في كثير من الفهارس، أما الباب الثالث فخصص لأسماء الشيوخ الذين أخذ منهم، والرابع في تعيين الكتب المروية والخامس في ذكر بعض الأسانيد(٧١).

ويدخل في هذه الفئة أيضا برنامج ابن أبي الربيع (عبد الله بن أحمد بن محمد ابن أبي الربيع القرشي المتوفى سنة ٦٨٨هـ). وقد قسمه إلى فصلين · الفصل الأول « يحتوي على التعريف بأسماء شيوخه ومأأخذه عن كل واحد منهم والاعلام بما يتيسر من موالدهم ووفياتهم وأسماء شيوخهم. والثاني يتضمن تحرير بعض ماوقع له عاليا من الأسانيد في عيون من الكتب الشهيرة إلى مؤلفيها بأي نوع وقع له ذلك من أنواع الأخذ والتحمل جاريا في سياق ماأورده من جميع ذلك على مناهج أهل العناية بطريق الاسناد وسبيل الرواية». وقد بلغ عدد الشيوخ في الفصل الأول اثنى عشر شيخا أما عدد الكتب في الفصل الثاني فلم يزد عن أربعة وثلاثين كتابا يضاف إليها ستة كتب وردت عرضا في قسم التراجم ولم يسجلها في القسم الخاص بالكتب فيكون مجموع الكتب في كل هذا الفهرس أربعين كتابا(٧٢).

ومن الطريف أن برنامج الرعيني (أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني المتوفى ٦٦٦هـ). والذي بسطناه في الفئة الأولى من الفهارس المرتبة على الشيوخ كمدخل أساسي، ويصنف الشيوخ داخل مجالات الدراسة المختلفة، وبعد الحديث عن الشيخ يقدم مروياته عنه، على النحو الذي ألمحنا إليه من قبل (في الفئة الأولى د) من هذه النقطة. هذا الفهرس بعد أن ينتهي من التراجم يعطى كشافا هجائيا بأسماء الشيوخ. يقول الرعيني في ورقة ٣٨ في مقدمة هذا الكشاف

«وقد رأيت أن أجرد الآن أسماء جميع من رويت عنه، ممن تقدم ذكره، ومن عسى أن أكون قد أغفلته، على النسق الذي تقدم في هذا البرنامج ذكرهم ليكون ميسرا لمن له غرض في الوقوف على مجرد أسمائهم. وفي هذا الكشاف نجد قائمة فيها تسعة وتسعون شيخا. وقد أردنا الاشارة هنا إلى هذه اللمسة التكشيفية، لأنها حالة فردية ولاتمثل ممارسة عامة يمكن أن تضعها في فئة خاصة. وقد وردت هذه القائمة في ورقة واحدة مع مقدمتها بينما الفهرس كله يقع في ٤٥ ورقة(٧٣).

٥ ـ محتويات ومعلومات فهارس الشيوخ

تتفاوت فهارس الشيوخ تفاوتا بيِّنا في حجم المفردات التي تعالجها وكمية المعلومات التي تقدمها تحت كل مدخل ونوعية تلك المعلومات كما اختلفت في طرق ترتيب المداخل على النحو الذي بسطناه في النقطة السابقة. ومن المؤكد أن نوعية الفهرس وطموح الطالب ورغبته في العلم وباعه فيه وعدد الرحلات التي قام بها لتحصيل العلم لها دخل كبير في هذا الصدد. من حيث عدد الشيوخ الذي يأتي عليهم كل طالب في فهرسه، ومن حيث عدد الكتب التي يسجلها الفهرس، نجد تفاوتا ضخما فأكبر الفهارس سجل نحو ٢٤٠٠ شيخ ونحو ألفي كتاب وهو المعجم الكبير لأبي سعد السمعاني وأصغر الفهارس سجل اثنى عشر شيخا وأربعين كتاب وهو برنامج ابن أبي الربيع والذي سبق ذكره.

ولابد من أن نلفت الانتباه إلى أن ضخامة عدد الشيوخ والمداخل قد تكون نتيجة أن عددا كبيرا من المرويات قد تكون أحاديث نبوية فردية رواها الطالب عن عدد كبير من المحدثين أو الحفاظ المسندين، كماقد تكون عبارة عن قصائد شعرية فردية لعدد كبير من الشعراء أو الرواة كما هو الحال في المعجم الكبير سابق الذكر. وبرنامج التجيبي وفهرسة ابن خير الاشبيلي. وقد يتضخم عدد الشيوخ العنعنة والاسناد اذ يذهب بعض الطلاب إلى اعتبار حلقات السلسلة الواحدة حتى المؤلف الأصلي جميعا من شيوخه وليس فقط مجرد الشيخ المباشر الذي درس عليه. ومن الطريف أن بعض الطلاب يذكر رقما تقريبيا لشيوخه وبالعد المباشر يتضح أن العدد أقل كما حدث في فهرست القاضي عياض المعروف بالغنية فقد ورد في نهاية الفهرس مانصه «هذه مائة ترجمة وقد تركنا جماعة ممن لقيناهم وذاكرناهم وحضرنا مجالس نظرهم من الفقهاء والرواة ممن لم نحمل عنهم الكتب ولا الحديث اقتصارا على ماذكرناه وبالله تعالى التوفيق وهو يرحم الجميع برحمته». ولما أحصينا عدد الشيوخ بالعد المباشر وجدناه ثمانية وتسعين شيخا.

لقد تخيرت عشرة من الفهارس وأحصيت بالعد المباشر عدد الشيوخ الذين درس عليهم الطالب مؤلف الفهرس وعدد المفردات التي درسها بأي طريقة للدرس كانت (سماعا أو قراءة أو مناولة أو اجازة أو اعلاما أو وجادة، أو مكاتبة أو وصية) وأيا كانت نوعية المفردات. وذلك كي تكون عينة على حجم المفردات في الفهارس العادية، هذه هي الفهارس هي: فهرس ابن عطية، برنامج ابن أبي الربيع، مشيخة ابن الجوزى، برنامج التجيبي، برنامج الوادى آشى، فهرسة ابن خير الاشبيلي، برنامج المجارى، فهرست القاضي عياض، مشيخة النعال البغدادي، ثبت البلوى. والجدول الآتي يصور نتيجة هذا الاحصاء، وقد حرصت على ترتيب المفردات فيه ترتيبا تصاعديا حسب عدد الشيوخ في الفهرس بصرف النظر عن عدد الكتب لأن عدد الكتب المدروسة قد يكون أقل من عدد الشيوخ وذلك لدراسة الكتاب الواحد على أكثر من شيخ خرقا للقاعدة القائلة بأن عدد الكتب المقرؤة تكون أكثر غالبا من عدد الشيوخ:

اسم الفهرس	سنة وفاة صاحبه	عدد الشيوخ	عدد الكتب
برنامج ابن أبي الربيع	٦٨٨ هـ	١٢	٤٠
فهرس ابن عطية	٤٨١ هـ	٣٠	١٢٣
برنامج المجارى	٨٦٢ هـ	٣٤	١٦٨
مشيخة النعال البغدادي	٦٥٩ هـ	٥٢	١٠٨
مشيخة ابن الجوزى	٥٩٧ هـ	٨٩	٤٦
فهرست القاضي عياض	٥٤٤ هـ	٩٨	٢٢١
برنامج التجيبي	٧٣٠ هـ	٢٢٤	٣١٨
برنامج الوادى آشى	٧٤٩ هـ	٢٧٩	٢٣٨
ثبت البلوى	٩٣٨ هـ	٣٣٤	٥٧٥
فهرسة ابن خير الاشبيلي	٥٧٥ هـ	١٠٢٠	١٤٤١

ومن هذا الجدول نرى أن عدد الشيوخ الذين درس عليهم ابن الجوزى والوادى آشى أكبر من عدد الكتب التي درست وربما يكون راجعا إلى أن الكتاب الواحد قد درس على أكثر من شيخ كما قد يكون راجعا إلى أن الطالب في فهرسه قد اكتفى بذكر أهم الكتب فقط ولم يسع إلى حصرها جميعا. ومن فهرسة ابن خير الاشبيلي وبرنامج التجيبي نخرج بأن عددا كبيرا من المفردات المدروسة كان عبارة عن أحاديث فردية أو قصائد شعر فريدة وليست دواوين بأكملها، كما أن بعض المرويات قد يكون رسائل صغيرة محدودة. ومن أمثلة تلك الحالات في فهرس ابن خير

الاشبيلي: رسالة أسد بن موسى إلى أسد بن الفرات وقد بلغ عدد الرسائل في هذا الفهرس أكثر من ثلاثين، أما القصائد الفردية فقد ربت على الخمسين ومن أمثلتها قصيدة لقيط بن معمر الأيادي، كما أن الأحاديث الفردية في برنامج التجيبي قد ربت على الأربعين وهكذا فان العدد النهائي للمرويات يجب أن يؤخذ على ضوء نوعية تلك المرويات وحجمها(٧٤).

والحقيقة أن محتويات ومعلومات كل فهرس كانت تختلف حتما باختلاف الهدف منه وان كانت هناك أرضية مشتركة بينها جميعا. فالفهارس جميعا لابد وأن تقدم معلومات بيوجرافية عن الأستاذ الشيخ الذي درس الطالب عليه ومعلومات ببليوجرافية عن الكتاب الذي درس والسند حتى المؤلف الأصلي. ففي اطار هذه الخلفية كان الفهرس يتحرك تحت كل مدخل. وأحيانا قد تطغي المعلومات البيوجرافية الخاصة بالشيخ على المعلومات الببليوجرافية الخاصة بالكتاب، وأحيانا تطغي المعلومات الببليوجرافية الخاصة بالكتاب على المعلومات البيوجرافية الخاصة بالأستاذ الشيخ. وفي بعض الحالات يكون السند طويلا في سلسلة متلاحقة من العنعنة، وفي بعض الحالات قد يقصر السند إلى حلقات قليلة وفي هذه الحالة الأخيرة يسمى السند من العوالى.

أكثر من هذا فمن الطبيعي ألا نجد توازنا في المعالجة تحت المداخل المختلفة اذ يحظى بعض الشيوخ بمعالجة تفصيلية تصل إلى عشرات الصفحات بينما البعض الآخر قد لايظفر بأكثر من بضعة أسطر داخل الفهرس الواحد، والأسباب التي تؤدي إلى ذلك كثيرة ومتنوعة.

عندما يعطي الفهرس الأولوية للبيانات البيوجرافية عن الشيخ، وتأتي المعلومات الببليوجرافية في المقام الثاني فان المعلومات عن الشيخ عادة ماتتناول الاسم بالكامل والكنية والشهرة والعمل وتاريخ الميلاد ومحل الميلاد وتعليمه منذ الصغر ورحلاته العلمية والأساتذة الذين علموه العلم بل وأكثر من ذلك الكتب التي درسها، وبعض الطرف والقصص التي قد تفيد في التعرف عليه من قرب، وتاريخ الوفاة وحاله عند الوفاة، وقد يتطرق إلى مكان الدفن والجنازة. بعد هذه المعلومات الشخصية عن الشيخ قد يسرد الطالب علينا مؤلفات الشيخ مهما طالت ومهما كثرت وبصرف النظر عن دراسته لها كلها أو بعضها ويختم الطالب بذكر مادرسه عنه وطريقة الدرس وظروف الدرس والمكان الذي لقيه فيه وسند الأستاذ في كل كتاب يدرسه ان لم يكن كتابه حتى يصل به إلى المؤلف الأصلي.

في هذه الفهارس نجد أن بعض الطلاب يبالغ في الوفاء لأستاذه فيكيل له المديح والصفات

والنعوت الطيبة وبعض الطلاب قد يقتصد في ذلك المديح. فانظر القاضي عياض يقول عن أحد شيوخه «أجل شيوخ بلدنا سبته، رحمه الله، ومقدم فقهائهم. . . وكان كثير الكتب حافظا عارفا مليح الخط والكتابة والمحاضرة، من أعقل زمانه وأفضلهم واسمتهم تام الفضل كامل المروءة بعيد الصيت عند الخاصة والعامة عظيم القدر. .»(٧٥)، بينما ابن الجوزى يقتصد في مديحه لأساتذته فيذكر في أحدهم «. . . وكان ظاهر الكياسة له فهم وأدب»(٧٦).

في هذه الفهارس قد تطول معالجة الشيخ الواحد على مدى عشرات الصفحات كما هو الحال في بعض شيوخ البلوى، وقد تتقلص إلى بضعة أسطر كما هو الحال في بعض شيوخ القاضي عياض. والنموذجان الآتيان يوضحان المحتويات والمعلومات التي يقدمها الطالب عن أستاذه:

«عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن العفيف شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي بالدال المهملة، لاكما ذكره الرشاطي، وهو شيخ دار الحديث بالقاهرة ويعرف بابن الجامد التوني. مولده فيما ذكره التجيبي أنه أعلمه به - في محرم عام أربعة عشر وستمائة وهو العام الذي ولد فيه موفق الدين أبو عبد الله الخراساني المذكور قبل، وذكر لي حفاظ القاهرة ممن أخذوا عنه واتفقوا على أن مولده في أخريات ذي الحجة عام ثلاثة عشر وستمائة والله أعلم». ومن تواليفه: معجم شيوخه الذين لقيهم وأخذ عنهم بالحجاز والشام والجزيرة والعراق وديار مصر وغيرها من سائر الآفاق وهو في سفرين، يزيد عددهم على ألف شيخ وثلاثمائة شيخ، وكتاب الأربعين المتباينة الاسناد المخرجة على الصحيح من حديث بغداد وكتاب الأعيان الجياد من شيوخ بغداد، وكتاب الأربعين الموافقات العوالى. وكتاب الأربعين التساعيات الأبدال. وكتاب المائة التساعية الأبدال، وكتاب التساعية المطلقة. وكتاب فضل الخيل وفضل قبائل الخزرج بن حارثة. وكتاب أخبار بني عبد المطلب بن عبد مناف. وكتاب أخبار بني نوفل بن عبد مناف. وكتاب أخبار بني جمح بن عمرو ابن هصيص. وكتاب أخبار بني سهم بن عمرو بن هصيص. وكتاب كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى ذكر فيه سبعة عشر قولا. وكتاب ستة الأيام من شوال. وكتاب الذكر والتسبيح أعقاب الصلوات. وكتاب العقد المثمن في من تسمى بعبد المؤمن. والمجالس البغدادية التي أملاها ببغداد، والمجالس الشمسية والقطبية. وكتاب التسلي والاغتباط بثواب من تقدم من الأفراط، وكتاب المصافحات.

«وتوفي ضحى يوم الأحد الخامس عشر لذي قعدة عام خمسة وسبعمائة، ودفن من الغد بظاهر باب النصر وصلى عليه قاضي القضاة «بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة»(٧٧).

هذا النموذج وان كان يقدم محتويات ومعلومات مطولة نسبيا إلا أن النموذج الثاني الآتي يقدم الجانب الآخر من الفهارس التي تقدم معلومات مقتضبة:

«الشيخ أحمد بن خليفة بن قاسم بن منصور بن عبد الله الخزاعي المكي: كتب الى من مكة يجيزني بكتاب البخارى عن كريمة سماعه منها بسنده المعلوم»(٧٨).

أما عندما يعطي الفهرس الأولوية للكتب المدروسة فانه يقدم البيانات البيليوجرافية لتلك الكتب على البيانات البيوجرافية للشيوخ ويفصل في المعلومات عن الكتب ويقتصد في المعلومات عن الشيوخ. والمعلومات التي يقدمها الفهرس عن الكتاب المدروس تدور حول عنوان الكتاب وعدد أجزائه أو مجلداته في حالة الكتب متعددة المجلدات واسم المؤلف ثم اسم الأستاذ الشيخ الذي قام بتدريس الكتاب للطالب وطريقة التدريس: القراءة أو السماع أو المناولة وتاريخ ذلك ومكان التعليم وسند الكتاب حتى مؤلفه الأصلي والأمثلة التالية تشرح ذلك:

المثال الأول:

«كتاب النظر في أحكام النظر»، تأليف الشيخ الفقية الأجل القاضي الامام الحافظ أبي الحسن على بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن ابراهيم ابن يحيى الكتامي الفاسي المعروف بابن القطان رحمه الله تعالى. سمعت جميعه كاملا في خمسة مجالس آخرها يوم الاثنين الرابع عشر من شوال من سنة ثلاث وتسعين وستمائة على التاريخي الحافظ الحاج أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي رحمه الله تعالى، بحق سماعه من أوله إلى أثناء الباب السابع منه، على القاضي الأجل أبي مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي ثم الباجي بلفظ أبي مروان المذكور وذلك بمدينة سرقوسة من مدن صقلية سنة أربع وثلاثين وستمائة، وأجازة سائره بحق قراءته لجميعه كاملا بلفظه على مؤلفه المذكور، رحم الله جميعهم. وتناولت جميعه بسبته من السيد الشريف الفاضل أبي علي بن ابن السيد الشريف الحافظ أبي التقى الطاهر ابن القاضي الأجل أبي الشرف رفيع الحسيني، رحمهم الله تعالى ورضى عنهم وصح ذلك وثبت في الموفى عشرين لذي القعدة من عام ثلاثة وتسعين وستمائة وحدثنا به عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز الشاطبي عن مصنفه(٧٩).

والمثال الثاني:

«كتاب اصلاح الحروف» التي كان اسحاق بن ابراهيم الدبري يصفها في مصنف عبد الرزاق، تأليف الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بنّ محمد بن يحيى بن مفرج القاضي رحمه الله،

حدثني به الشيخ أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصارى قراءه عليه ، قال حدثني به الشيخ أبو محمد ابن عتاب رحمه اللة قراءة عليه، وحدثني به الشيخ أبو محمد بن عتاب اجازة فيما كتب به إلي، قال: نا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عابد، قال: نا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مفرج مؤلفه»(٨٠).

والمثال الثالث :

«كتاب شمائل النبي ﷺ » تأليف أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي أحمله عن أربعين من شيوخي قرأته بتونس على الأستاذ أبي جعفر أحمد بن يوسف اللبلي وحدثني به عن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل قراءة عن ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي بن سكينة. . . وقرأته بها على الأستاذ أبي الحسن علي التجاني بحق روايته له عن الأشياخ الثلاثة. . . قلت هكذا قيده لي هذا الشيخ بخطه. وذكر ابن برطله في فهرسته أنه قرأ الشمائل على القاضي أبي الخطاب أحمد بن واجب بسنده، فتكون روايته لها على ابن حوط الله اجازة والله سبحانه أعلم. . . وقرأته أيضا في مجلسين ببلد تونس على الفقيه أبي زيد عبد الرحمن بن الدباغ القيرواني. وحدثني به قراءة للبعض وسماعا للباقي على أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الحنفي. . . وقرأته في ثلاثة مجالس بالحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة على امام المقام رضي الدين الطبري بروايته له عن. . . »(٨١).

من الفهارس ما أعطى اهتماما متوازنا بالاثنين معا فأعطى ترجمة الشيخ حقها، وأعطى المرويات أيا كان سندها حقها كذلك فجمع بذلك بين الاتجاهين السابقين في واحد. ومن هنا تأتي المعلومات غزيرة تحت الترجمة والببليوجرافية في وقت واحد. من هذه الفهارس ثبت أبي جعفر بن علي البلوى المتوفى عام ٩٣٨هـ والذي خص القلصادي أول شيوخه بغرناطة ومروياته عنه نحو ثلاثين صفحة. ومنها أيضا «المعجم المترجم» لزكي الدين عبد العظيم المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦هـ، و «التحبير في المعجم الكبير» لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن محمد السمعاني المتوفي عام ٥٦٢هـ. ونجد فيهما ضربا من ضروب التوازن في المعلومات البيوجرافية عن الشيوخ والببليوجرافية عن الكتب المدروسة، حتى وان طالت أو قصرت تحت المداخل المختلفة فيهما(٨٢).

هذا على جانب الفهارس العامة التي سجلت كل المرويات على كل شيخ لطالب معين، إلا أنه هناك على الجانب الآخر فهارس متخصصة أي تقتصر على طريقة واحدة من طرق الدرس والرواية أوتقتصر على شيوخ الطالب في بلد معين، أو تقتصر على نوع واحد من الشيوخ «الاناث» منهم فقط دون الذكور. ومن هذا التخصص تتلون المحتويات والمعلومات في الفهرس بلون خاص.

من الفهارس التي تقتصر على طريقة واحدة من طرق الدراسة: مشيخة صائن الدين محمد بن الانجب النعال البغدادي والتي تقتصر فقط على الاجازات دون سائر طرق الرواية التي سلكها في تحصيل العلم وبالتالي فان هذه المشيخة لانجد فيها إلا الشيوخ المجيزين فقط. ومن بين هذه الطائفة من الفهارس «البركة التامة في شيوخ الاجازة العامة» للشهاب أحمد بن عثمان العطار المكي الهندي، «سفر الاجازات لأبي عبد الله محمد المدني بن علال بن جلون الكوني إلفاسي. وغيرها كثير في هذا التخصص. ويقول النعال البغدادي في مقدمة مشيخته المذكورة «وخرجت في هذا الكتاب جملة من مشايخي المجيزين» للتأكيد على طريقة الاجازة في تحصيل العلم، وبعض النصوص المدروسة بهذه الطريقة(٨٣).

ومن الفهارس التي تقتصر على أساتذة الطالب في بلد واحد فهرسا أبي طاهر السلفي الأصبهاني المتوفى ٥٧٦هـ: «معجم شيوخ بغداد»، «معجم شيوخ أصبهان»، «ثبت مسموع حلب» لأبي حفص عمر بن محمد بن عمر بن أبي بكر النصيبي الشافعي وأخيه أبي بكر عبد الله النصيبي. وهذا الفهرس متخصص مرتين مرة في نوع الرواية (المسموعات» فقط ومرة أخرى جغرافيا في بلد واحد (حلب). ومن بين الفهارس المتخصصة في بلد معين أيضا «معجم شيوخ بغداد» لمحب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود ابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣هـ. في هذه الطائفة من الفهارس تتلون المعلومات بلون جغرافي حيث توصف البلد وأماكن تلقى العلم فيه إضافة إلى المعلومات البيوجرافية والببليوجرافية(٨٤).

ومن الطريف أن بعض الفهارس يقتصر على «النسوان» الأستاذات أو الشيخات وحدهن، ومن ثم تتلون المعلومات في هذه الفهارس بلون انثوي كما فعل أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر المتوفى ٥٧١هـ عندما خصص ثبتا لشيخاته من النساء بعنوان «معجم النسوان»، ذكر فيه الشيخات اللائي أخذ عنهن العلم. كما أنه على الجانب الآخر أصدرت كثير من الشيخات الأستاذات فهارس لهن ذكرن فيها الكتب التي درسنها والشيوخ الذين درسوا لهن، من هذه الفهارس: مشيخة أم محمد زينب بنت يحيى بن عبد السلام، مشيخة أم محمد وجيهة بنت على الاسكندرانية، مشيخة شهدة الكاتبة تخريج أبي محمد بن الأخضر وغيرها كثير جدا(٨٥).

ورغم الأهمية الكبرى لفهارس الشيوخ على النحو الذي عرضنا لجانب منه على الصفحات السابقة فان هذه الفهارس لم تحظ بالضبط الببليوجرافي الذي تستحقه، كما أن تلك الفهارس التي لم يقدر عددها بنحو ثلاثة آلاف فهرس لم ينشر ويحقق منها سوى عدد محدود للغاية وهي في حاجة إلى مزيد من رعاية الباحثين وجهدهم.

٦ ـ مصادر الدراسة وحواشيها

١ ـ الكتاني : عبد الحي بن عبد الكبير. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات، والمسلسلات، باعتناء احسان عباس. . ، ط٢، بيروت دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢، ج١، ص ص ٦٩ـ٧٠.

* ـ لسان العرب لابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد، أعاد بناءه على الحروف الأولى يوسف خياط، بيروت: دار لسان العرب، د. ت. مادة فهرس، مج٢، ص ١١٤٠.

* ـ تاج العروس للزبيدي : محمد مرتضى ـ بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع، ١٩٦٦، مادة فهرس باب السين فصل الفاء، مج٤، ص ٢١١.

* ـ المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الدوحة: إدارة احياء التراث الاسلامي، ١٩٨٥، مادة فهرس، ج٢، ص ٧٠٤.

٢ ـ نفس المصادر السابقة والمواضع المذكورة.

٣ ـ أنظر على سبيل المقال فقط:

* ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه / أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الاشبيلي، تحقيق فرنسشكه قداره زيدين وتلميذه خليان رباره طرغوه في سرقسطة ١٨٩٣ ثم أعيد نشره باعتناء زهير فتح الله في بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩.

* ـ الغنية : فهرست شيوخ / القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون، تحقيق ماهر زهير جرار، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢.

* ـ الفهرست لابن النديم / محمد بن اسحاق ابن النديم، تحقيق رضا ـ تجدد. . . طهران، ١٩٧١.

* ـ فهرس ابن عطية / أبو محمد عبد الحق بن عطيه المحاربي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٠.

٤ ـ تاج العروس للزبيدي / محمد مرتضى الزبيدي، بنغازي: دار ليبيا للنشر، ١٩٦٦، مادة ثبت، باب التاء فصل الثاء، مج١، ص٥٣٤.

وأنظر على سبيل المثال:ـ

* ـ ثبت البلوى / أبو جعفر أحمد بن على البلوى الوادي آشى، تحقيق عبد الله العمراني، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٣.

* ـ الثبت المصري / شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي. (مخطوط).

٥ ـ الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير، نفس المصدر السابق، ج١، ص ص٦٨ ـ ٦٩.

٦ - تاج العروس للزبيدى، نفس المصدر المذكور، مادة برنامج، باب الجيم فصل الباء، مج٢، ص٨. وأنظر على سبيل المثال:

* - برنامج المجارى / أبو عبد الله محمد المجارى الأندلسى، تحقيق محمد أبو الأجفان، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢.

* - برنامج التجيبي / القاسم بن يوسف التجيبي السبتي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١.

* - برنامج الوادى آشى / محمد بن جابر الوادي آشى، تحقيق محمد محفوظ، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٠.

٧ - تاج العروس للزبيدي، نفس المصدر المذكور، مادة شيخ، باء الخاء، فصل الشين، مج٢، ص ص ٢٦٥- ٢٦٦، وأنظر على سبيل المثال:-

* - مشيخة النعال البغدادي / صائن الدين محمد بن الانجب، تخريج رشيد الدين محمد بن عبد العظيم المنذري، تحقيق ناجي معروف وبشار عواد معروف، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٥.

* - مشيخة ابن الجوزى / أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق محمد محفوظ، ط٢، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٠.

٨ - لسان العرب لابن منظور. نفس المصدر المذكور سابقا، مادة عجم، مج٢، ص ص ٦٩٦ - ٦٩٩، وأنظر على سبيل المثال:

* - المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي/ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن الأبار القضاعي، باشراف كوديرا، مجريط (مدريد)، ١٨٨٥/ ١٨٨٦، اعيد نشره في القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧.

* - المعجم المفهرس / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨٢ مصطلح الحديث) وقد شرح مصطلح معجم شرحا وافيا في الورقة ٨٤ من المخطوط.

٩ - الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير، نفس المصدر السابق، ج٢، ص ص ١١٦٥- ١١٦٦، تاج العروس للزبيدي، نفس المصدر المذكور، مادة سلسل، باب اللام، فصل السين، مج٧، ص٣٧٩، وأنظر على سبيل المثال:

* - مسلسلات أبي بكر بن زاذان / أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن الحسن (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٧م مصطلح الحديث).

* - ملسلات السبكي / تاج الدين عبد الوهاب بن علي (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٢٥٤٣ خ).

١٠ ـ أنظر على سبيل المثال :

* ـ أسانيد كتب المالكية / محمد بن جابر الوادي آشى (مخطوط).

* ـ أسانيد حصر الشارد / عابد السندى (مخطوط).

١١ ـ أنظر على سبيل المثال :

* ـ تقييد أشياخ أبي على الحسن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز قنبور (مخطوط).

* ـ التقييد في معرفة رواة الكتب والأسانيد / معين الدين محمد عبد الغني البغدادي (مخطوط).

* ـ التقييد لأبي يحيى السراج المغربي (مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس تحت رقم ٧٥٨).

١٢ ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات/ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء احسان عباس، ط٢، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢، ٢ج (١١٨٤ ص).

١٣ ـ معلومات مباشرة من استعراض وتحليل عينات ممثلة من الفهارس المدروسة.

١٤ ـ أنظر الفهارس المذكورة نفسها .

١٥ ـ عبد العزيز الأهواني ، كتب برامج العلماء في الأندلس، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الأول، ١٩٥٥، ص ص ٩٤ـ ٩٦.

١٦ ـ البلوى : أبو جعفر أحمد بن علي البلوى الوادي آشي. ثبت البلوى؛ دراسة وتحقيق عبد الله العمراني ـ بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢، ص ص ٤٥٤ـ ٤٦٠.

١٧ ـ ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزى، مشيخة ابن الجوزى؛ تحقيق محمد محفوظ. ـ ط٢. ـ بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٠، ص٥٣.

١٨ ـ القاضي عياض : أبو الفضل عياض بن موصى بن عياض. الغنية: فهرست شيوخ القاضي عياض؛ تحقيق ماهر زهير جرار. ـ بيروت ـ : دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢، ص ص ٢٥ـ ٢٦.

١٩ ـ النعال البغدادي : صائن الدين محمد بن الانجب. مشيخة النعال البغدادي؛ تخريج رشيدالدين محمد بن عبد العظيم المندري، تحقيق ناجي معروف وبشار عواد معروف. ـ بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٥، ص٥٥.

٢٠ ـ الوادى آشى : شمس الدين محمد بن جابر. برنامج الوادي آشى؛ تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٩٨٠، ص ص ٤١ـ ٤٢.

٢١ - ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي. فهرس ابن عطية؛ تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي. - بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٠، ص٤١.

٢٢ - التجيبي : القاسم بن يوسف التجيبي السبتي. برنامج التجيبي، تحقيق واعداد عبد الحفيظ منصور، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١. ص ص ٨-٩.

٢٣ - عبد العزيز الأهواني : كتب برامج العلماء في الاندلس، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، ج١، ١٩٥٥، ص ص٩٣- ٩٤.

٢٤ - أنظر في هذا الصدد الفهارس الآتية على سبيل المثال:
* - فهرس ابن عطية / أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي. - بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٠، والذي يكشف كل سطر فيه عن طريقة من طرق تحصيل العلم.
* - الغنية : فهرست شيوخ القاضي عياض / أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ابن عمرون اليحصبي السبتي، تحقيق ماهر زهير جرار، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢، والذي يفيض هو الآخر بذكر طرق الرواية.

٢٥ - ثبت البلوى / أبو جعفر أحمد بن علي البلوى الوادي آشي؛ دراسة وتحقيق عبد الله العمراني. - بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٣.

٢٦ - فهرسة ما رواه عن شيوخه / أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الاشبيلي. - ط٢. - بيروت: دار الآفاق، ١٩٧٩.

٢٧ - ابن خير الاشبيلي : المصدر السابق ، ابن الجوزى: أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد بن الجوزي: المصدر السابق، ابن عطيه: أبو محمد عبد الحق ابن عطيه المحاربي الأندلسي: المصدر السابق.

٢٨ - أنظر على سبيل المثال فقط :
* - برنامج الوادي آشي / محمد بن جابر الوادي آشي؛ تحقيق محمد محفوظ. - بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٠.
* - برنامج المجارى / أبو عبد الله محمد المجارى الأندلسي، تحقيق محمد أبو الأجفان، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢.

٢٩ - انظر على سبيل المثال فقط :
* - المعجم المفهرس لابن حجر العسقلاني (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٢، مصطلح الحديث).

٣٠ - أنـظرالفهـارس المـذكورة تحت مصطلحات: برنامج، فهرس ومشتقاته، مسلسل، معجم، ثبت، مشيخة.

٣١ - للاحاطة بموضوع الرواية عند المسلمين أنظر :

* - القاضي عياض : أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض. الالماع إلى معرفة أصول الروايه وتقييد السماع، تحقيق أحمد صقر، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٠.

* - ابن عبد البر : أبو يوسف النمري، جامع بيان العلم ومايتبغي في روايته وحمله. - المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٩٦٨، ٢ج.

* - الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن على بن ثابت، الكفاية في علم الرواية، تقديم محمد الحافظ التيجاني. - القاهرة، دار الكتب الحديثة، د. ت، (مأخوذة عن طبعة حيدر آباد لسنة ١٣٥٧هـ).

* - ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر القرشي. الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح، د. ث، (أعيد طبعه في بيروت: دار الفكر د. ت).

٣٢ - ابن خير الاشبيلي : فهرسة مارواه عن شيوخه، ط٢، بيروت، دار الآفاق، ١٩٧٩، ص ص ١٧- ٢١.

٣٣ - القاضي عياض : الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق أحمد صفر. - القاهرة: دار التراث، ١٩٧٠، ص ص ٦٩- ٧٠، وأنظر كل الفهارس المذكورة في هذه الدراسة وغيرها.

٣٤ - رواه أحمد وأبو داود وجخرجه ابن حيان في صحيحه، ابن خير الاشبيلي، فهرسة مارواه عن شيوخه، ص ص ١٢- ١٣.

٣٥ - مشيخة النعال البغدادي : تحقيق ناجي معروف وبشار عواد معروف، بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٥، ص٢٣، القاضي عياض: الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ص ٧٠- ٧٣.

٣٦ - ابن خير الاشبيلي : فهرسة مارواه عن شيوخه، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩، ص١٣.

٣٧ - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تدريب الراوى؛ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. - المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ١٩٥٩، ص ص ٢٣٩- ٢٤٥؛ البلوى: أبو جعفر أحمـد بن علي الـوادي آشي. ثبت البلوى؛ تحقيق عبـد الله العمراني، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٣، ص٨٠.

٣٨ - ابن خير الاشبيلي ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

٣٩ - نفس المصدر السابق ، ص ص ١٣ - ١٤ .

٤٠ - القاضي عياض : الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، ص٧٩ وما بعدها .

٤١ - البلوى : أبو جعفر أحمد بن علي الوادي آشي . ثبت البلوى؛ تحقيق: عبد الله العمراني، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٣ ، ص ص ٨٢ - ٨٣ ، ابن كثير : عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر، الباعث الحثيث، بيروت: دار الفكر، د. ت، ص٦٦، القاضي عياض: الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، ص٨٨ ومابعدها .

٤٢ - الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الكفاية في علم الرواية، القاهرة: دار الكتب الحديثة، د. ت، ص٤٦٦ وما بعدها؛ القاضي عياض: نفس المصدر السابق والصفحة .

٤٣ - ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر، الباعث الحثيث ص١٢٧، الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الكفاية في علم الرواية، ص ص ٣١٢- ٣١٧ .

٤٤ - ابن خير الاشبيلي : فهرسة مارواه عن شيوخه، ص ص ٤٥٣- ٤٥٥ .

٤٥ - المصدر السابق ، ص ص ١٤ - ١٦ .

٤٦ - المصدر السابق ، ص ١٦ .

* - ابن عبد البر : أبو عمر يوسف النمري، جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في روايته وحمله . - المدينة المنورة : المكتبة السلفية، ١٩٦٨ ، ج٢ ، ص٢٢٠ ومابعدها .

٤٧ - ابن عبد البر : أبو عمر يوسف النمري، المصدر السابق، ج٢ ، ص٢١٨ - ٢١٩ .

٤٨ - البلوى : أبو جعفر أحمد بن علي البلوى الوادي آشي، المصدر السابق، ص ص ٨٣- ٨٤ .

٤٩ - المصدر السابق حيث نجد نصوص المكاتبات ، ص ص ٤٥٥ - ٤٦٠ .

٥٠ - ابن عبد البر : أبو عمر يوسف النمرى، جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في روايته وحمله ، ص ص ٢١٥- ٢١٧ ، مشيخة النعال البغدادي ص٢٤ ، ثبت البلوى، ص٨٤ من المقدمة وصفحات متفرقة من النص.

٥١ - نفس المصادر السابقة والصفحات .

٥٢ - ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر، الباحث الحثيث، ص ص ٥٦ - ٦٩ .

٥٣ - أنظر أيضا على سبل المثال :
* - برنامج المجارى : أبو عبد الله محمد المجارى الأندلسي، حيث قام برحلات عديدة.
* - برنامج ابن جابر الوادى آشى ، حيث ذكر فيه رحلاته .
* - فهرست شيوخ القاضي عياض ، حيث ذكر فيه رحلاته .

٥٤ - من أمثلة تلك الفهارس :
* - مشيخة الفخر ابن النجارى (أبو الحسن على بن الامام أحمد بن عبد الواحد المقدسي، ٥٩٦- ٦٩٠هـ).
* - معجم أبي ذر الهروى (أبو ذر عبد بن أحمد الهروى ٣٥٥- ٤٣٥).
* - معجم مشايخ العيني (بدر الدين محمد بن أحمد بن موسى، ٧٦٢- ٨٥٥).

٥٥ - عبدالعزيز الأهواني، كتب برامج العلماء في الاندلس، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الأول، ١٩٥٥، ص١٠٥.

٥٦ - معجم شيوخ ابن زاذان (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٧م مصطلح الحديث)، معجم ابن جميع الصيداوي (مخطوط بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة رقم ٣٢٦ مجاميع)، معجم أسامى مشايخ أبي علي الحداد الأصبهاني (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦م مصطلح الحديث).

٥٧ - التحبير في المعجم الكبير للمسعاني (مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٥٢٩ حديث).

٥٨ - معجم السفر لأبي طاهر السلفى (مخطوط بمعهد احياء المخطوطات العربية، نسخة مصورة عن الأصل المخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ١٧٦ حديث).

٥٩ - ثبت الشماع (مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٩٦٣د).

٦٠ - الغنية : فهرست شيوخ القاضي عياض (مطبوع تحقيق ماهر زهير جرار، بيروت : دارالغرب الاسلامي، ١٩٨٠).

٦١ - فهرس ابن عطية المحاربي (مطبوع تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٠).

٦٢ - الكتاني : عبد الحي بن عبد الكبير. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات باعتناء احسان عباس. - ط٢. - بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢ (تحت الأسماء في ترتيبها الهجائي المغربي).

٦٣ - مشيخة المطعم الدلال (مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٩٦٣ ضمن مجموعة)، مسموع حلب (مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ٢١١٥).

٦٤ ـ مشيخة النعال البغدادي (مطبوع تحقيق ناجي معروف وبشار عواد معروف، بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٥) .

٦٥ ـ عبد العزيز الأهواني : المصدر السابق، ص ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

٦٦ ـ ثبت البلوى (مطبوع تحقيق عبد الله العمراني، بيروت: دارالغرب الاسلامي، ١٩٨٣، برنامج المجاري (مطبوع تحقيق محمد أبو الأجفان، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢ .

٦٧ ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (تحت ابن فرتون)، ج٢، ص٩١٠.

٦٨ ـ فهرسة مارواه عن شيوخه أبو بكر محمد بن خير الاشبيلي (مطبوع بتحقيق فرنسشكه قداره زيدين وتلميذه خليان ربارة طرغوه في سرقسطة ١٨٩٣ ثم أعيد نشره باعتناء زهير فتح الله في بيروت: دار الآفاق الجديد، ١٩٧٩)، برنامج التجيبي (مطبوع تحقيق عبد الحفيظ منصور، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١).

٦٩ ـ برنامج الوادى آشى (مطبوع حقق مرتين في سنتين متتاليتين: الأولى تحقيق محمد محفوظ، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٠، والثانية تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٩٨١).

٧٠ ـ برنامج المنتوري الأندلسي (مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ١٥٧٨).

٧١ ـ فهرس السراج المعروف بالتقييد (مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ٧٥٨).

٧٢ ـ برنامج ابن الربيع (مطبوع تحقيق عبد العزيز الأهواني، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ١٩٥٥، ص ص ٢٥٢ ـ ٢٧١).

٧٣ ـ عبد العزيز الأهواني ، كتب برامج العلماء في الأندلس، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الأول، ١٩٥٥، ص ص ١٠٢ ـ ١٠٤ .

٧٤ ـ ذكرت البيانات البيليوجرافية الكاملة لتلك الفهارس في مواضع متفرقة من هذا البحث ولاداعي لتكرارها مرة ثانية.

٧٥ ـ الغنية : فهرست شيوخ القاضي عياض ، ص ص ٢٧ ـ ٢٩ .

٧٦ ـ مشيخة ابن الجوزى ، ص ١٥٧ .

٧٧ ـ برنامج الوادى آشى ، تحقيق محمد محفوظ، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٠ .

٧٨ - الغنية : فهرست شيوخ القاضي عياض ، ص ١١٥ .

٧٩ برنامج التجيبي ، تحقيق واعداد عبد الحفيظ منصور، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١ ، ص ص ٢٧٢- ٢٧٣ .

٨٠ - فهرس مارواه عن شيوخه أبو بكر ابن خير الاشبيلي، ص ص ١٣١- ١٣٢ .

٨١ - برنامج الوادى آشى ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، مكة : جامعة أم القرى، ١٩٨١ .

٨٢ - أنظر على سبيل المثال فقط :

*- ثبت البلوى ، تحقيق عبد الله العمراني، بيروت : دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٣ . «القلصادي أول شيوخ البلوى بغرناطة ، ص ص ١٠٤- ١٣٥» .

٨٣ - مشيخة النعال البغدادي ، تحقيق ناجي معروف وبشار عواد معروف، ص٥٥ .

٨٤ - معجم شيوخ بغداد لأبي طاهر السلفى الأصبهاني (مخطوط بمكتبة دير الاسكوريال تحت رقم ١٧٨٣ ونسخة مكتبة فيض الله باستانبول رقم ٥٣٢، ثبت مسموع حلب للنصيبي وأخيه (مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ٢١١٥).

٨٥ - فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للكتاني، ج٢ ، ص ص ٦٥٢- ٦٥٥ على سبيل المثال فقط لهذا النوع من الفهارس).